صور من الإعجاز البياني في القرآن الكريم

دراسة تحليلية

إعداد الأستاذ الدكتور

عاطف محمد محمود الخولي **محمود متولي حسين الميهي**

الأستاذين المساعدين بكلية العلوم والآداب بطبرجل

جامعة الجوف – المملكة العربية السعودية

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

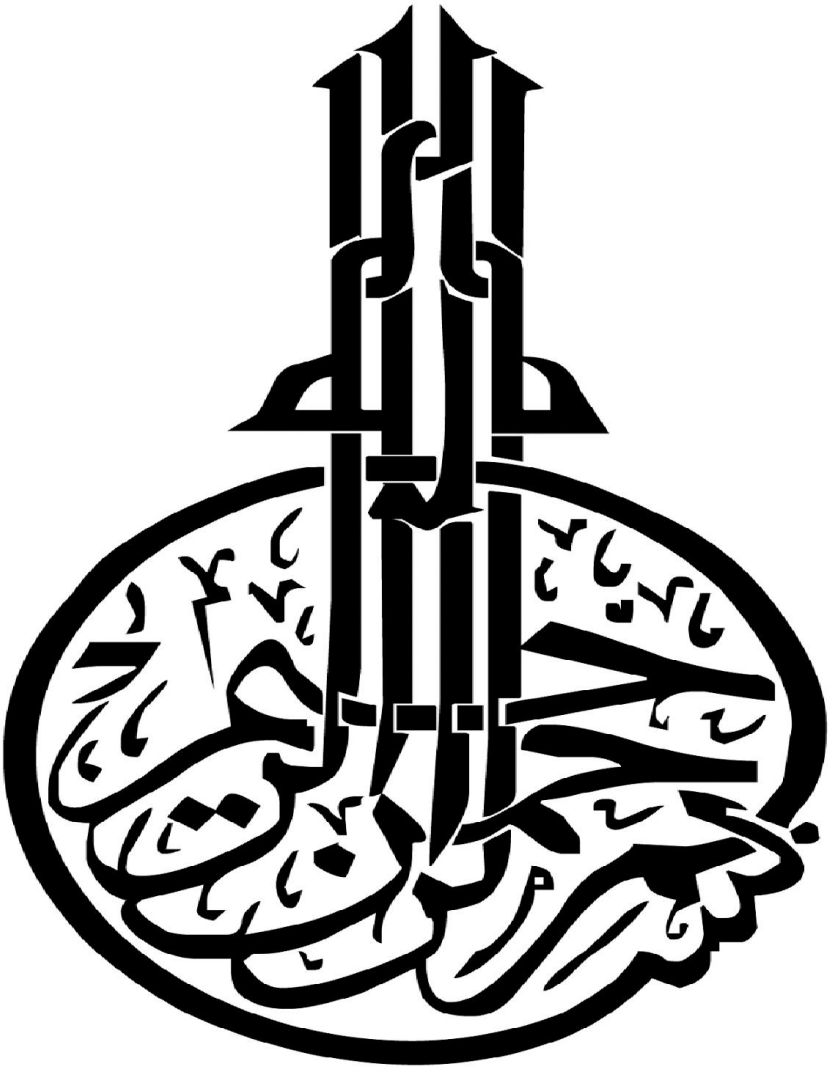

صور من الإعجاز البياني في القرآن الكريم – دراسة تحليلية

د. عاطف محمد محمود الخولي د. محمود متولي حسين الميهي

قسم: التفسير وعلوم القرآن كلية: العلوم والآداب بطبرجل

جامعة / الجوف الدولة: المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني / atefalkholi79@gmail.com

mahmoudelmehy79@gmail.com

ملخص البحث:

الدراسات القرآنية مهما تنوعت وتعددت، إلا أننا في حاجة ماسة إلى المزيد من تلك الدراسات التي توضح، وتكشف لنا حينًا بعد آخر قمة، وروعة إعجاز القرآن الكريم، وبيان سرًا من أسراره، ومن هنا كان موضوع إعجاز القرآن الكريم من أجّل العلوم، وأشرفها.

وقد اعتنى العلماء بالإعجاز البيانى – المتمثل في نظمه، وأسلوبه، وتراكيبه اللغوية – سلفًا، وخلفًا، فهو الغالب على جهودهم، وتراثهم الذى خلّفوه، وتركوه لنا، حتى أصبح معينًا لا ينضب، وزادًا لا ينفد.

والإعجاز البيانى للقرآن الكريم من أهم وجوه إعجازه، لأنه مشتمل، وقائم على القرآن الكريم كله، ولا توجد تلك الخاصية في بعض الوجوه الأخرى، كالإعجاز العلمى مثلا.

والبحث في هذا الميدان لا يزال بحاجة إلى كثرة الدراسات القرآنية فيه للوقوف على كَمِ التراث البيانى الهائل الذى خلّفه لنا علماؤنا الأجلاء.

وانسياقًا مع ما سبق ذكره، فقد استهدف هذا البحث الحديث عن الإعجاز البيانى لبعض آيات القرآن الكريم، وفقًا للمنهج التحليلى الوصفى، النقدى أحيانًا، فجاء بحثنا الموسوم بـ: (صور من الإعجاز البيانى في القرآن الكريم – دراسة تحليلية).

الكلمات المفتاحية: صور – إعجاز – القرآن الكريم – دراسة – تحليلية .

Forms of the Stylistic Miracle of the Noble Quran: An analytical Study

Atef Mohamed Mahmoud El-Kholi, Mahmoud Metwali Al Mehi
Faculty / Sciences and Arts in Tabarjal,University / Al-Jawf, City / Al-Jawf State / Kingdom of Saudi Arabia
E-mail:
atefalkholi79@gmail.com
mahmoudelmehy79@gmail.com

Abstract:

In spite of the diversity and multiplicity Quranic studies, we urgently need more of those studies that clarify and reveal to us from time to time in addition to the magnificence of the miracle of the Noble Qur'an, and explain one of its secrets. Therefore, the study of the miraculous aspects of the Quran is considered the greatest.

Scholars took great care of the miraculous stylistic aspects of the Quran- represented in verses, style, and linguistic structures, as it excelled all efforts, and the legacy of the ancient they left behind, until it became an inexhaustible source.

The stylistic aspect of the Holy Qur'an is one of the most important aspects of its miracle, because it includes, as well as, it is based on the whole text of the Holy Qur'an, which is not found in some other aspects, such as scientific miracles, for example.

Research in this field is still in need of numerous Qur'anic studies to find out the enormous amount of stylistic heritage that our distinguished scholars have left us.

Consistent with the aforementioned statement, this research aimed to tackle the miraculous stylistic aspects of some verses of the Noble Qur'an, according to the critical, descriptive and analytical method. Therefore, I gave my paper the title of: "(Forms of the stylistic miracle of the Noble Quran: An analytical Study)".

Key Words: Forms -Miraculousness -Glorious Quran -Analytical- Study.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم–، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن القرآن الكريم هو المعجزة الفريدة الخالدة الباقية على مر العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهو كلام الله تعالى المُعْجِز في علومه، وأسلوبه، وحِكمه، ونظمه، وهدايته، المشتمل على جميع المعارف والعلوم، ومن هنا تحدى الله تعالى به العرب جميعًا، فعجزوا عن آخرهم عن الإتيان ولو بسورة من مثله، مع حرص أصحاب البلاغة منهم على إطفاء نوره، واجْتثاث نَبْتَتِه، وإبطال دعوته.

وما من متتبع لكل من عكف على دراسة القرآن الكريم في القديم والحديث الحاضر والمستقبل، إلا وهو يتيقن أن هذه الثلة الطيبة لم ولن يبلغوا مبلغ الشمول والإحاطة ببعض وجوه إعجازه، وأنهم ليسوا بالغين جوانب أنواره وأسراره، وأن نصيب وحظ تلك الثلة من هذه الوجوه، وتلك الجوانب، والمنازل، إنما يتأتى لكل فرد منهم على قدر طاقته البشرية حصيلة تدبره، وإعمال عقله لكتاب الله ﷻ، وعلى قدر ما يمتن به الله ﷻ على عباده من الفيوضات، والمنح، ومن اصطفاهم من المقربين الأخيار الذين يقفون على بعض جوانب إعجازه.

والحقيقة أن الدراسات القرآنية مهما تنوعت وتعددت، إلا أننا في حاجة ماسة إلى المزيد من تلك الدراسات التي توضح، وتكشف لنا حينًا بعد آخر قمة، وروعة إعجاز القرآن الكريم، وبيان سرًا من أسراره.

وقد اعتنى العلماء بالإعجاز البياني – المتمثل في نظمه، وأسلوبه، وتراكيبه اللغوية – سلفًا، وخلفًا، فهو الغالب على جهودهم، وتراثهم الذي خلّفوه، وتركوه لنا، حتى أصبح معينًا لا ينضب، وزادًا لا ينفد.

وهذا الإعجاز لا تظهر خفاياه، وتنجلي أسراره إلا لكل ذي بصيرة عالم بفنون هذا العلم، وفي ذلك يقول الله تعالى: {**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**} الروم/ ٢٢، فالعلماء، وأهل التخصص هم الأوفر حظًا ونصيبًا من الإدراك والإحاطة ببعض وجوه إعجاز القرآن الكريم، مصداقًا لقوله تعالى: {**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**} المجادلة/ ١١، وقوله تعالى: {**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ**} الزمر/ ٩، ولا يزال القرآن الكريم يستنهض هِمم العلماء، والمختصين لمزيد من المعايشة معه، والبحث في آفاقه، والتنقيب حول دُررِّه التي لا تنفد، ولا تقف عند نهاية {**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً**} الكهف/ ١٠٩، كل بحسب ما تيسر له من أدوات، وبما يفتح الله تعالى به على عباده {**وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً**} الإسراء/ ٢٢.

والإعجاز البياني للقرآن الكريم من أهم وجوه إعجازه، والبحث فيه لا يزال بحاجة إلى كثرة الدراسات القرآنية فيه للوقوف على كَمِ التراث البياني الهائل الذي خلّفه لنا علماؤنا الأجلاء.

ومن هنا أتي اختيارنا لهذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وهو الإعجاز البياني، فعقدنا النية، واستعنا بالله تعالى على الكتابة في هذا الموضوع، حتى ندلي بدلونا في هذا الميدان المبارك، فجاء بحثنا الموسوم بـ(**صور من الإعجاز البياني في القرآن الكريم – دراسة تحليلية**).

وقد تناول الباحث الأول الجانب النظرى للإعجاز البياني، من خلال الفصل الأول في هذا البحث، وتناول الباحث الثانى الجانب التطبيقي للإعجاز البياني من خلال الفصل الثاني في هذا البحث، نسأل الله التوفيق والسداد والعون.

أسباب اختيار الموضوع:

أولا: أن الاشتغال، والبحث في بعض صور، ونماذج الإعجاز البيانى ستضيف للمكتبة القرآنية علمًا نافعًا ومفيدًا.

ثانيا: أن الدراسة، والبحث في موضوع الإعجاز البيانى من أنبل الغايات، وأسمى الموضوعات، فالعلم إنما يَشْرُفُ بشرف موضوعه.

ثالثا: تنمية الملكة العلمية للباحثين، وذلك من خلال الاستشراف، والوقوف على أسرار بعض الآيات القرآنية، وما انحوت عليه من إعجاز سماوى ربانى، وبذلك تتنوع العلوم الى يُحصّلها الباحث من أمثال هذه الدراسات، مما ينعكس إيجابًا على إثراء عقل الباحث، وسعة مداركه.

مجال الدراسة وحدودها:

عرض بعض الصور، والنماذج للإعجاز البيانى التي وقعت في القرآن الكريم، ودراستها، ومقارنتها بأقوال العلماء، والتعليق عليها، ومدى موافقتها لجمهرة المفسرين، أم مخالفة لهم، مؤيدين ذلك بالأدلة، والبراهين.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقصاء تبين للباحثين أن المكتبة الإسلامية قد حفلت وزخرت بكثير من المؤلفات، والأبحاث، والرسائل العلمية، والمقالات، للقدامى، والمحْدثين، التي تحدثت عن إعجاز القرآن الكريم، ووجوهه بصفة عامة، والبيانى منه بصفة خاصة،

بأشكال، وعناوين شتى، مما يصعب على الباحث استقصاؤها، وعدّها، وسنشير إلى بعضها بين ثنايا هذا البحث.

هدف البحث والدراسة:

هدف هذه الدراسة هو الحديث عن وجوه إعجاز القرآن الكريم بإيجاز، وبيان المراد من الإعجاز البياني، ومظاهره، ووجوهه، وأركانه، ومتى كانت نشأته، وعرض بعض الأمثلة والتطبيقات التي تدل على وقوعه في القرآن الكريم، وبيان المنهجية العلمية الموضوعية الصحيحة التي ذهب إليها كثير من العلماء، وتعليقنا عليها بما يتوافق مع رأى الجمهرة منهم.

منهاج البحث والدراسة:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي، الوصفي، التحليلي، النقدي – أحياناً –

خطة البحث:

انتظم هذا البحث في: مقدمة، وفصلين، وخاتمة، وفهارس. وقد ورد هذا الترتيب على النحو التالي:

المقدمة: وقد بينا من خلالها ما يلي:

(أ) بيان أهمية الموضوع. **(ب)** أسباب اختيار الموضوع.

(ج) مجال الدراسة وحدودها. **(د)** الدراسات السابقة.

(هـ) هدف البحث والدراسة. **(و)** منهاج البحث والدراسة.

(ز) خطة البحث.

الفصل الأول: المشتمل على الجانب النظري للدراسة: وقد اشتمل على سبعة مطالب:

المطلب الأول: نشأة مصطلح الإعجاز.

المطلب الثاني: تعريف الإعجاز البياني.

المطلب الثالث: نشأة الإعجاز البياني.

المطلب الرابع: أهمية الإعجاز البياني.

المطلب الخامس: أركان الإعجاز البياني.

المطلب السادس: ألوان وصور الإعجاز البياني.

المطلب السابع: جوانب الإعجاز البياني.

وأما الفصل الثاني: الجانب التطبيقي للدراسة: فسَنعرضه من خلال عشرة مباحث، وصور متفرقة بين آيات القرآن الكريم، ستساق بين صفحات البحث.

الخاتمة: نسأل الله حسنها، وقد بينا من خلالها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث.

الفهارس: وتشتمل على ما يلي:

(١) ثبت المصادر والمراجع. **(ب)** ثبت الموضوعات.

وبعد: فلسنا ندعي لبحثنا هذا الكمال، فالكمال لله وحده، فما كان فيه من صواب فمن توفيق الله – عز وجل–، وما كان فيه من خطأ فمنا والشيطان، وحسبنا أنا بذلنا قصارى جهدنا، وقدر طاقتنا في إعداده، وأسأل الله أن يمن علينا بالتوفيق، ويشرح لنا صدورنا، ويُيسر لنا أمورنا، ويهدينا سواء السبيل، فإنه لا هداية إلا بنوره، ولا توفيق إلا بتدبيره، إنه قريب مجيب.

وقد أبي الله – عز وجل– أن يكون الإعجاز إلا لكتابه الكريم، فالله نسأل أن يغفر لنا ما زل به القلم عن سهو، وخطأ غير متعمد، ونسأله أن يجزي من قرأ، هذا البحث ونصح في إخلاص دؤوب، خير الجزاء. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثان

د/ عاطف محمد محمود الخولي ، د/ محمود متولي حسين الميهي

الفصل الأول: التعريف بالإعجاز البياني

المطلب الأول: نشأة مصطلح الإعجاز

بعد التقصي والبحث تبين أن مصطلح الإعجاز لم يظهر، ولم يرد في القرآن الكريم، ولا في كلام النبي –صلى الله عليه وسلم–، ولم يقل به أحد من الصحابة والتابعين – رضوان الله عليهم –.

فهذا المصطلح بدأت جذوره، في بداية ومطلع القرن الثاني الهجري، وان مرحلة التأليف فيه كانت مع بداية القرن الرابع الهجري، وهذا ما ذهب إليه كثير من العلماء، حيث قالوا: "لقد كانت روعة القرآن الكريم، وسحر بيانه مستوليًا على القلوب، والأفكار، وكان المؤمنون يحسّون بنشوة بالغة وهم يتمعّنون آيات الذكر الحكيم، وكان الكافرون المعاندون يحسّون في قرارة أنفسهم أن هذا الكلام ليس من كلام البشر، وكانوا يحسّون بحلاوة عباراته، وطلاوة أسلوبه، والمعاني الثّرة[1] المغدقة في موضوعاته، وأنه يعلو ولا يعلى عليه.

لقد كان الذوق العربي السليم يساعد أصحابه على إدراك الأساليب القرآنية في مخاطباته، وكانت قدسية القرآن، وعظمته مسيطرة على نفوسهم، وكان الإقرار بالعجز عن الارتفاع إلى مستواه كامنًا في النفوس.

---

(١) (الثرة) مادة (ثرر) الثَّرُّ:الواسِعُ، يُقَال: عَيْنٌ ثَرّةٌ، أَي: واسِعةٌ، وعَيْنٌ ثَرَّةٌ وثَرَّارَةٌ وثَرْثارَةٌ: غَزِيرَة المَاءِ= انظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ٤/ ١٠١، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، وتاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)١٠/ ٣١٥، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

وبقي هذا الأمر بعد عصر النبوة، والخلفاء الراشدين، ورَدْحًا[1] من الزمن في الدولة الأموية، إلا أن صفاء السليقة العربية بدأت تفقد صفاءها، وبدأت الثقافات الفارسية، واليونانية تأخذ طريقها إلى المجتمع الإسلامي على يد أبناء الأقطار التي فتحها المسلمون، وبدأ الناس يفكرون بطريقة عقلية مجردة عن التذوق الجمالي، وإدراك المعاني بالسليقة الصافية.

في هذه البيئة المختلطة بالتيارات الثقافية المتباينة، برز الحديث عن وجه إعجاز القرآن، وعن سبب عجز العرب عن الإتيان بمثل سورة من القرآن، ولعل الفكرة أول ما نشأت في مجالس بعض القوم في البصرة في القرن الثاني الهجري، حيث كانت البصرة تموج بالتيارات الفكرية المختلفة من فقهاء، ومحدثين، ولغويين، وأدباء، وفلاسفة متكلمين.

ولم يبرز مصطلح إعجاز القرآن على الساحة، إلا بعد أن نُقل عن واصل بن عطاء المتوفى سنة ١٣١هـ شيخ المعتزلة في البصرة قول غريب، وهو: أن إعجاز القرآن ليس بشيء ذاتي فيه، وإنما هو بصرف الله تفكير الناس عن معارضته، وهو القول الذي تبنّاه فيما بعد (إبراهيم بن سيّار النظّام) المتوفى سنة ٢٣١هـ، أحد شيوخ المعتزلة في البصرة، وعُرف هذا القول فيما بعد (بالصرفة) عند ذلك بدأ العلماء يتعرضون في ثنايا كتبهم لوجه الإعجاز، ويتحدثون عن إعجاز القرآن، ولعل أول من تولى الرد على القول بالصرفة هو الجاحظ،

---

(١) (ردحا) رَدَحَ البَيْتَ، كمَنَع، يَرْدَحُه رَدْحاً، وأَرْدَحه:إِذا أَدْخَلَ رُدْحَةً، أَي: شُقَّةً فِي مُؤَخَّرِه، والرُّدُحُ: الفِتَنُ العَظيمةُ، ويُقال: لَك عَنهُ رُدْحَةٌ، بالضّمّ، ومُرْتَدَحٌ، بضمّ الْمِيم، وَفتح الرَّابع، أَي: سَعَةٌ = انظر: تاج العروس ٦/ ٣٨٩، القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، ص ٢١٩، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

تلميذ النظام، فإلى جانب تناوله موضوع إعجاز القرآن في إشارات مقتضبة في بعض كتبه الأدبية، ك (الحيوان) و(البيان والتبيين) فقد ألف كتابًا سماه (نظم القرآن)، إلا أن هذا الكتاب لم يصل إلينا، وإنما بقيت الإشارة إليه من خلال كتاباته، وكتابات غيره من الأدباء.

ونهج الأدباء الذين جاؤوا بعد الجاحظ نهجه في الكشف عن المعانى الدقيقة، والإشارات اللطيفة في آيات القرآن الكريم، وألفوا رسائل في نظم القرآن، فمن هؤلاء الين ألفوا على غرار الجاحظ، أبو بكر عبد الله بن أبى داود السجستانى، المتوفى سنة ٣١٦هـ، حيث ألف كتابًا، وسماه (نظم القرآن)، وكذلك أبو زيد البلخى، أحمد بن سليمان، المتوفى سنة ٣٢٢هـ، وسمى كتابه(نظم القرآن) أيضًا، كذلك أبو بكر أحمد بن على، المعروف (بابن الإخشيد) المعتزلى، المتوفى سنة ٣٢٦هـ، وسمى كتابه أيضًا (نظم القرآن).

وقد تعرض العلماء إلى وجوه إعجاز القرآن من خلال كتبهم المختلفة حول الدراسات القرآنية، فنجد الإمام (أبا محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى) المتوفى سنة ٢٧٦هـ، قد تصدى للطاعنين في القرآن بشكل عام، والمنكرين لإعجازه بشكل خاص في كتابه الجليل (تأويل مشكل القرآن) ففنّد مزاعمهم، وكان يمثل إمامة أهل السنة والجماعة في طبقة الأدباء، كما كان يمثل الجاحظ طبقة الأدباء من المعتزلة.

كما تولى المفسرون بيان مزايا الأسلوب القرآنى، وبلاغته، ووجوه إعجازه من خلال تفاسيرهم، فنجد شيخ المفسرين في زمانه الإمام ابن جرير الطبرى، المتوفى سنة ٣١٠هـ، يقول في مقدمة تفسيره: " من أشرف تلك المعانى التي فضّل بها كتابُنا سائرَ الكتب قبله نظمُه العجيب، ورصْفُه الغريب، وتأليفه البديع الذى عجزت عن نظم مثل أصغر سورة منه الخطباء، وكلّت عن وصف شكله البلغاء، وتحيرت في تأليفه الشعراء، وتبلَّدت – قصورًا عن أن تأتيَ بمثله– لديه أفهامُ الفُهماء، فلم يجدوا له إلا التسليمَ، والإقرار بأنه من عند الواحد القهار، مع ما يحوي، مع ذلك، من المعاني التي هي ترغيب، وترهيب، وأمرٌ،

وزجرٌ، وقَصَص، وجَدَل، ومَثَل، وما أشبهَ ذلك من المعاني التي لم تجتمع في كتاب أنزل إلى الأرض من السماء"[1].

وعلى إثر ذلك اتسعت دائرة الكتابة في علوم البلاغة بعامة، وفي إعجاز القرآن بشكل خاص، ولعل أول من ألف كتابًا مستقلًا تحت هذا العنوان، هو (أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي) المتوفى سنة ٣٠٦هـ، وسماه (إعجاز القرآن البياني)، إلا أننا لم نظفر بكتاب (الواسطي)، وتذكر كتب التراجم أن (عبد القاهر الجرجاني)، شرح كتاب (الواسطي) بكتابين – أحدهما: صغير، والثاني: كبير، وسماه (المعتضد) – وذلك قبل تأليفه كتاب (دلائل الإعجاز) إلا أن شرحَيْ كتاب (الواسطي) لم يصلا إلينا.

لقد تطور فهم الإعجاز في التاريخ الإسلامي، ومر بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: إعجاز القرآن دليل لإثبات المصدر الرباني للقرآن، ونبوة محمد – صلى الله عليه وسلم–، وهذا هو أساس معنى الإعجاز، ومبدأ الكلام حوله، وهذا ما يوحي به الفهم اللغوي، والاصطلاحي لمعنى الإعجاز، وهذا ما توحي به آيات التحدي الأربعة في القرآن، وما فهمه الصحابة، والتابعون في نظرتهم لإعجاز القرآن.

كان إعجاز القرآن في هذه المرحلة وسيلة إلى إثبات النبوة، وتقرير أن القرآن كلام الله، ولم يكن هدفًا بحد ذاته، وفي هذه المرحلة كانت فكرة 'جاز القرآن جزءًا من كلّ، ووسيلة إلى غاية، يمكن تقريرها في فقرات معدودة، ولا يعدو بحثها صفحات قليلة.

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ١/ ١٩٩، المحقق: أحمد محمد شاكر

الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

المرحلة الثانية: إعجاز القرآن، دراسة للتعبير البيانى القرآنى: بدأت هذه المرحلة منذ مطلع القرن الرابع، وبها انتقلت دراسة إعجاز القرآن من نظرات مجملة إلى دراسة مفصّلة، وتحوّل النظر إلى الإعجاز من كونه وسيلة إلى غاية سامية – هي إثبات النبوة، والمصدر الربانى للقرآن – لتكون الدراسة غاية بحد ذاتها.

كانت الوقفة في هذه المرحلة المتطورة أمام التعبير القرآنى نفسِه، وأساليب البيان المعجز فيه، ومظاهر النظم الدقيق السامى فيه.

وفى هذه المرحلة نشأ علم: البلاغة القرآنية، أو علم: أساليب البيان في القرآن، أو علم: النظم القرآنى الرائع.

وكانت وقفة العلماء أمام البيان القرآنى المعجز متأنية بطيئة، وكانت تحليلات المتفوقين منهم رائعة بديعة، وكانت دراساتهم عديدة، بعضها قيّم شيّق ممتع.

ومن أوائل من يمثل هذه المرحلة الإمام (الرمانى) في رسالته – التي سبقت الإشارة إليها – (النكت في إعجاز القرآن) التي تحدث فيها عن عشرة من أقسام البلاغة القرآنية، هي: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، والبيان.

وكان هذه المرحلة أيضًا رسالة (الخطابى) في (بيان إعجاز القرآن) في بعض جوانبها، وكتاب (الباقلانى) في (إعجاز القرآن)، وخير ما يمثل هذه المرحلة كتاب: عبد القاهر الجرجانى (دلائل الإعجاز)، وجداله المطوَّل فيه لإثبات (النظم القرآنى) الذى يصحُ اعتباره دراسة منه للبلاغة القرآنية، لذلك جعَلَه متكاملًا مع كتابه الثانى: (أسرار البلاغة).

وبهذه الدراسات البيانية للبلاغة القرآنية انتقل إعجاز القرآن، من كونه فكرة موجزة، وحقيقة رائعة، وحجة بالغة لإثبات النبوة، ومصدر القرآن، إلى كونه علمًا مستقلًا، اسمه:

(علم البيان القرآني)، أو (النظم القرآني)، أو(التعبير القرآني)، أو البلاغة القرآنية، على ما في هذا العلم من تفصيل، وتوضيح، وتوسع، وتطويل.

المرحلة الثالثة: إعجاز القرآن، دراسة شاملة لدلائل مصدر القرآن: تطورت دراسة إعجاز القرآن في هذه المرحلة، من كونه دراسة بيانية للتعبير القرآني، إلى دراسة شاملة لكافة دلائل مصدر القرآن، التي تدل على أنه كلام الله، ووحيّه إلى رسوله –صلى الله عليه وسلم-.

وهذه الدلائل قد تكون من تعبير القرآن البياني المعجز، وقد تكون من مضامين القرآن، وموضوعاته، وحقائقه، وقد تكون من أمور أخرى تتعلق بالقرآن ذاته، وقد تكون من أمور أخرى خارج القرآن، كالسيرة النبوية مثلًا.

وقد بدأت إشارات مجملة إلى هذه النقلة الخطيرة للإعجاز في الماضي، قال بها الباقلاني، والرازي، والغزالي، والقاضي عياض، والسيوطي، وغيرهم، لكن هذه المرحلة توسعت كثيرًا في العصر الحديث، وقال بها معظم الذين بحثوا (إعجاز القرآن)"[1].

(١) انظر: مباحث في إعجاز القرآن، للدكتور/ مصطفى مسلم، ص ١ – ٤، وإعجاز القرآن البياني، ودلائل إعجازه، للدكتور/ صلاح الخالدي، ص ١٠٦ – ١١٠.

المطلب الثاني: تعريف الإعجاز البياني

العنصر الأول: تعريف مصطلح الإعجاز:

الإعجاز لغة: " مصدر للفعل الماضي الرباعي (أَعْجَزَ) والفعل الثلاثي(عَجَزَ) يقال: عَجَزَ عَنْ الشَّيْءِ عَجْزًا، مِنْ بَابِ ضَرَبَ، وَمَعْجَزَةٌ بِالْهَاءِ وَحَذْفِهَا وَمَعَ كُلِّ وَجْهٍ فَتْحُ الْجِيمِ وَكَسْرُهَا: ضَعُفَ عَنْهُ، وَعَجِزَ عَجَزًا مِنْ بَابِ تَعِبَ"(١).

وقد وردت كلمة (العجز) على عدة معان، منها:

١- الفَوْتُ، والسَّبْقُ، يُقَالُ: أَعْجَزَنِي فُلَانٌ، أَي: فَاتَنِي، والسابق لخصمه.

٢- القصور عن فعل الشيء، يُقَالُ: عَجَزَ يَعْجِزُ عَنِ الأَمر، إِذا قَصَرَ.

٣- نَقِيضُ الحَزْم، يقال: عَجَز عَنِ الأَمر يَعْجِزُ وعَجِزَ عَجْزاً فِيهِمَا.

٤- الضَّعْفُ، وعدم القدرة، تَقُولُ: عَجَزْتُ عَنْ كَذَا أَعْجِز، والمَعْجِزَةُ، بِفَتْحِ الْجِيمِ وَكَسْرِهَا، مَفْعِلَةٌ مِنَ العَجْز، عَجِزَ عن الشيء يعجز عَجْزاً، فهو عاجزٌ، أي: ضَعيف.

٥- التَّأَخُّرُ عن الشيء.

٦- تَرْكَ مَا يُجِبُّ فِعْلَهُ بالتَّسويف، وَهُوَ عَامٌّ فِي أُمور الدُّنْيَا، وَالدِّينِ.

٧- مؤخر الشيء، فالعَجُز: مؤخَّر الشيء، والجمع أعجاز، حتى إنهم يقولون: عَجُز الأمرِ، وأعجازُ الأمور، وحصوله عند عَجُزِ الأمرِ، أي: مؤخّره، كما ذكر في الدّبر(٢).

---

(١) انظر: لسان العرب، ٥/ ٣٦٩، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس ٢/ ٣٩٣، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ٥٤٧، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ، تاج العروس١٥/ ١٩٩، لسان العرب ٥/ ٣٧٠، معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ٤/ ٢٣٣، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

والمصطلحات الأربعة الأولى متحققة في معنى إعجاز القرآن الكريم.

= الإعجاز اصطلاحًا: يطلق على عدة اصطلاحات، منها:

(١) الإعجاز شيئان: = استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن، وتقدمه.

= ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان، واتصال عنايته"[١].

(٢) "إفعال من العَجْز، الَّذى هو زوال القدرة عن الإتيان بالشىء، من عمل، أَو رأْى، أَو تدبير"[٢].

(٣) " الإعجاز في الكلام: هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق"[٣].

ولا منافاة بين الأقوال الأربعة الأولى الواردة في المعنى اللغوى، وبين ما ورد في تعريف الإعجاز اصطلاحًا، فما ورد في الاصطلاح هو بيان لمجمل ما ورد ذكره في المعنى اللغوى.

العنصر الثانى: تعريف مصطلح البيان:

البيان لغة: وردت كلمة (البيان) على عدة معان في اللغة، منها:

---

(١) انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، ص ٩٨، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، الفيروزآبادى ١/ ٦٥، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

(٣) انظر: كتاب التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ص ٣١، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م

(١) البَيانُ: الإفْصاحُ مَعَ ذَكاءٍ.

(٢) البَيانُ: الفَصاحَةُ واللَّسَن.

(٣) البَيانُ: إظْهارُ المَقْصودِ بأبْلَغ لَفْظٍ وَهُوَ مِن الفَهْم، وذَكاء القَلْب مَعَ اللّسَن، وأَصْلُه: الكَشْف، والظّهور.

(٤) البَيانُ: المَنْطقُ الفَصِيحُ المُعْربُ عمَّا فِي الضَّميرِ.

(٥) البَيانُ إظْهارُ المعْنَى للنَّفْسِ حَتَّى يتبيَّنَ من غيرِهِ، ويَنْفصِلَ عمَّا يلتبسُ بِهِ.

(٦) البَيانُ أَعَمُّ مِن النُّطْقِ، لأنَّ النُّطْقَ مُخْتصٌّ باللِّسانِ، ويُسمَّى مَا يَبِينُ بِهِ بَيَانًا.

وَهُوَ ضَرْبان:

أَحَدُهما: بالحالِ، وَهِي الأشْياءُ الدَّالَّةُ على حالٍ مِنَ الأَحْوالِ مِن آثارِ صفَةٍ.

الثَّانِي: بالإخْبارِ، وَذَلِكَ إمَّا أَنْ يكونَ نُطْقًا، أَو كِتابَةً، فَمَا هُوَ بالحالِ، كقولِهِ تَعَالَى: {**إِنَّه لكُم عَدوٌّ مُبِينٌ**} يس/ ٦٠، وَمَا هُوَ بالإخْبارِ، كقوْلِهِ تَعَالَى: {**فاسْئَلُوا أَهْل الذِّكْر إِن كُنْتم لَا تَعْلمُونَ﴿٦٦﴾ بالبيِّناتِ والزُّبُر...**} النحل/ ٦٦"[(١)].

= البيان اصطلاحًا: يطلق على عدة معان، منها:

١. " الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي"[(٢)].

(١) انظر: تاج العروس ٣٤/ ٣٠٤، لسان العرب ١٣/ ٦٨.

(٢) انظر: البيان والتبيين، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ ١/ ٨٢، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ.

٢. " أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويحكي عن مغزاك، وتخرجه من الشركة، ولا تستعين عليه بالفكرة، والذي لا بدّ له منه أن يكون سليمًا من التكلّف، بعيدًا من الصّنعة، بريئًا من التعقّد، غنيًّا عن التأويل"(١).

٣. " هو إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك، وقيل ذلك: لئلا يلتبس بالدلالة، لأنها إحضار المعنى للنفس، وإن كان بإبطاء ".

٤. " الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة، وإنما قيل ذلك: لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل، ولا يستحق اسم البيان"(٢).

المراد بالإعجاز البياني:

المقصود بالإعجاز البياني للقرآن الكريم: هو مدى العناية، والدّقّة في اختيار ألفاظ، وكلمات القرآن الكريم، وتنسيقها بشكل بديع، وصورة بلاغية متناهية، والتي يعجز البشر عن مضاهاتها، والإتيان بمثلها.

يقول الدكتور/ صلاح الخالدى: "عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن، وقصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توفر ملكاتهم البيانية، وقيام الداعى على ذلك، وهو استمرار تحديهم، وتقرير عجزهم عن ذلك"(٣).

(١) انظر: عيون الأخبار، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ٢/ ١٨٩، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ، البيان والتبيين ١/ ٨٢.

(٢) انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لأبى على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ١/ ٢٥٤،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

(٣) انظر: البيان في إعجاز القرآن،، للدكتور/ صلاح الخالدى، ص ١٤٠.

المطلب الثالث:

نشأة الإعجاز البياني

إن قضية الإعجاز البياني نشأت، وفرضت وجودها منذ بداية بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم–، فمنذ بعثته ونزول الوحي عليه، وبدأ يبدأ بجهر دعوته، وانبهار المشركين بأسلوب، وبراعة، وبلاغة القرآن الكريم، فقد علمت وأدركت قريش ما لهذا الكتاب المعجز من مكانة عظيمة، وأنه ليس من كلام البشر، مع فصاحتهم، وبلاغتهم، وسليقتهم الأصيلة، مما جعلهم يحولون بينه، وبين العرب، خاصة في مواسم الحج.

وقد حفل القرآن الكريم بتسجيل هذا الانبهار من المشركين عند سماعهم لهذا البيان القرآني المعجز، هذا ما بينته لنا سورة المدثر التي ورد بين ثنايا آياتها قصة الوليد بن المغيرة حينما انبهر بسماع القرآن الكريم، وسجّل التاريخ كلماته المشهورة، مما يدل على مدى ما انطوى عليه هذا الكتاب من بلاغة، وفصاحة، رغم أنه نزل بلغتهم، ومن جنس كلامهم.

فلقد روى الإمام الحاكم في مستدركه من حديث سيدنا عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – قال: " أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: ياعم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا، قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالًا، قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومك إنك منكر له، أو إنك كاره له، قال: وماذا أقول، فو الله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز، ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وأن عليه لطلاوة، و أنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وأنه ليعلو و ما يعلى، وأنه ليحطم فاتحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر، قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن

غيره، فنزلت: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} "[1].

كما حفلت كتب السنة النبوية، والسيرة النبوية بكثير من الأدلة التي توضح لنا بداية نشأة الإعجاز البياني، وأنه كان منذ بداية بعثته صلى الله عليه وسلم.

وهذا ما أفصحت عنه عبارة بنت الشاطئ – رحمها الله – حيث قالت: "قضية الإعجاز البياني بدأت تفرض وجودها على العرب من أول المبعث، فمنذ تلا المصطفى عليه الصلاة والسلام في قومه ما تلقى من كلمات ربه، أدركت قريش ما لهذا البيان القرآني من إعجاز لا يملك أي عربي يجد حسَّ لغته وذوقها الأصيل، سليقة وطبعًا، إلا أن يُسّلم بأنه ليس من قول البشر.

من هنا كان حرص طواغيت الوثنية من قريش، على أن يحولوا بين العرب، وبين سماع هذا القرآن، فكانوا إذا دنا الموسم، وآن وفود قبائل العرب للحج، ترصدوا لها عند مداخل مكة، وأخذوا بسبل الناس لا يمر بهم أحد إلا حذّروه من الإصغاء إلى ما جاء به محمد بن عبد الله من كلام قالوا: إنه السحر يفرق بين المرء وأبيه وأخيه، وبين المرء وزوجه، وولده

(١) انظر: المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة المدثر٢/ ٥٥٠، حديث رقم: ٣٨٧٢، وعلق عليه بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري و لم يخرجاه، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

وعشيرته.

وربما وصلت آيات منه إلى سمع أشدهم عداوة للإسلام، فألقى سلاحه مصدقًا ومبايعًا، عن يقين بأن مثل هذه الآيات ليست من قول البشر.

وفي حديث بيعة العقبة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم ندب صاحبه مصعب بن عمير ليذهب مع أصحاب العقبة إلى يثرب، ليقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، فنزل هناك على أسعد بن زُرَارة الأنصارى الخزرجى، فحدث أن خرجا يومًا إلى حى بني عبد الأشهل على رجاء أن يسلم بعض القوم، فلما سمع كبيرا الحى سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير بمقدم مصعب، وأسعد، ضاقا بهما، وأنكرا موضعهما من الحى، قال سعد بن معاذ لصاحبه أُسَيِّدِ بْنِ حُضَيْرٍ: لا أباً لك! انطلق إلى هذين الرجلين فازجرهما وانههما عن أن يأتيا ديارنا، فإنه لولا أن أسد بنِ زُرَارة منى حيث علمتَ، كفيتك ذلك: هو ابن خالتى، ولا أجد عليه مقْدَمًا، والتقط أُسَيِّدٌ بْنِ حُضَيْرٍ حربته ومضى- إلى صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجرهما متوعدًا: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا، اعتزلانا إن كانت لكما بنفسيكما حاجة، قال له مصعب بن عمير: – أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهتَه كُفَّ عنك ما تكره، فركز أسيد حربته، واتكأ عليها يصغي إلى ما يتلو مصعب من القرآن، ثم أعلن إسلامه من فوره، وعاد إلى قومه فعرفوا أنه جاء بغير الوجه الذى ذهب به، وما زال (أُسيد) بسعد بن معاذ حتى صحبه إلى ابن خالته أسعد بن زرارة، فبادره (سعد) سائلًا فى غضب وإنكار: يا أبا أمامة، لولا ما بينى وبينك من القرابة مارُمتَ هذا منى، أتغشانا في دارنا بما نكره؟!.

ولم يجب أبو أمامة، بل أشار إلى صاحبه مصعب الذى استمهل سعد بن معاذ حتى يسمع منه، ثم تلا آيات من القرآن، نفذت إلى قلب ابن معاذ، فمزقت عنه حجب الغفلة، وغشاوة الضلال، أعلن إسلامه وعاد إلى قومه فسألهم: يا بنى عبد الأشهل، كيف تعلمون

أمرى فيكم؟ أجابوا جميعًا: سيدنا، وأفضلنا رأيًا، وأيمننا نقيبة، فعرض عليهم الإسلام، فوالله ما أمسى فى حي بنى عبد الأشهل رجل، أو امرأة إلا مسلمًا ومسلمة[1].

روى ابن إسحاق في السيرة أن أبا سفيان بن حرب الأموي، وأبا جهل ابن هشام المخزومي، والأخنس بن شُريق الزهري، خرجوا ذات ليلة متفرقين على غير موعد إلى حيث يستمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، ويتلو القرآن في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، ولا أحد منهم يعلم بمكان صاحبيه، فباتوا يستمعون إليه حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئًا، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة التالية، عاد كل منهم إلى مجلسه لا يدري بمكان صاحبيه، فباتوا يستمعون إلى القرآن حتى طلع الفجر فتفرقوا، وجمعهم الطريق فتلاوموا، وانصرفوا على ألا يعودوا، لكنهم عادوا، فتسللوا في الليلة، وباتوا يستمعون إلى القرآن[2].

إذن فسحر البيان، المشركون يعرفون سلطانه على الوجدان العربي، فهم في خشية من أن يدرك العرب، كل العرب لا البلغاء، والشعراء منهم فحسب، إعجاز البيان القرآني.

إلى غير ذلك من الأدلة التي ساقتها بنت الشاطئ – رحمها الله – فليرجع إليها من أراد الاستزادة"[3].

---

(١) انظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ) ٤/ ٧٦،الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ) ١/ ٣١٥، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

(٣) انظر: الإعجاز البيانى، ص ٤٠ – ٤٨.

المطلب الرابع:
أهمية الإعجاز البياني

الله تعالى حينما تحدى العرب جميعًا بهذا الكتاب الخالد المعجز، تحداهم بالبيان، والأسلوب القرآني، لأن المراد بالمثلية هوالبيان القرآني، فلم يقم الحجة عليهم، وافتيان ببعض الوجوه، والعلوم التي وردت بين دفتيه، سواء أكانت تشريعية، أم غيبية، أم علمية، وإنما طلب منهم الإتيان بمثلية القرآن الكريم في فصاحته، وبلاغته، وأسلوبه الفذ المتفرد الذى لانظير له قط، وهو ما ذهب إليه جميع المفسرين في المراد من هذه المثلية[1].

من هنا تأتى أهمية الإعجاز البيانى للقرآن الكريم، هذه الأهمية تتجسد في أن الإعجاز البيانى عام، وشامل في في القرآن الكريم كله، في جميع سوره، وآياته، دون الوجوه الأخرى التي ربما توجد في سورة، ولا توجد في غيرها، كالإعجاز العلمى، والغيبى مثلًا.

وهذا ما نطقت به عبارات كثير من العلماء، فحول هذه الأهمية للإعجاز البيانى، يقول الدكتور/ فضل عباس تحت عنوان أهمية الإعجاز البيانى:

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبى القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)٢/ ٣٨٣، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ١٧/ ٣٢٥، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ، فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ٢/ ٥٥٢، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ، التفسير المظهري، لمحمد ثناء الله المظهري ٥/ ٧٢، المحقق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية – الباكستان، الطبعة: ١٤١٢ هـ، زهرة التفاسير، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) ٧/ ٣٦٧٨، دار النشر: دار الفكر العربي.

"إن أعظم وجوه الإعجاز، الإعجاز البيانى، لأنه ينتظم القرآن الكريم كله، سوره على اختلافها طولًا، وعرضًا، أما الوجوه الأخرى من وجوه الإعجاز، فليس الأمر فيها كذلك، فأنباء الغيب مثلًا ليست موجودة في كل آية من القرآن، وكذلك الإعجاز العلمى، والتشريعى، ومن هنا كان الإعجاز البينى أهم هذه الوجوه، وأعمها، بل هو أتمها، لأنه عام في القرآن كله، لا تخلو منه سورة على قصرها، بل هو في كل آية – تكون على مقدار السورة القصيرة – وليس كذلك الوجوه الأُخَر.

وإذا كان الإعجاز القرآنى إنما يرجع في لبه، وجوهره، إلى النظم، وإذا كان القرآن الكريم كتاب الإنسانية جميعها عربها، وعجمها، منذ أنزله الله ما دامت الحياة، والأحياء، إذا كان كذلك، فليس من المنطقى أن يكون هذا النظم خاصًا بالعرب وحدهم، وإنما غلط من غلط في هذه القضية، لأنهم ظنوا ان الإعجاز البيانى الذى يقوم على النظم، ذلكم الترتيب الذى كان لكلمات القرآن في جُمَلها من جهة، واختيار هذه الكلمات من جهة أخرى، ثم ترتيب الجمل، والآيات في السورة، وتلك قضية كان يدركها العربى عند نزول القرآن بذوقه، وسليقته، أما العرب اليوم فيدركونها بالفكرة لا بالفطرة، بعد ان تُفَسّر لهم، وتبين لهم دقائقها، وهم وغيرهم في ذلك سواء"(١).

= وحول أهمية الإعجاز البيانى، وتوضيح أن نظم القرآن، وبيانه هو الذى طُلِب من العرب الإتيان بمثله، لمعرفة إعجاز القرآن الكريم، يقول الشيخ/ محمود شاكر – رحمه الله -: "ثبت أن ما في القرآن جملة من حقائق الأخبار عن الأمم السالفة،

(١) انظر: إعجاز القرآن الكريم، للدكتور/ فضل حسن عباس، أستاذ بالجامعة الأردنية، ص ١٦٥.

ومن أنباء الغيب، ومن دقائق التشريع، ومن عجائب الدلالات على ما لم يعرفه البشر من أسرار الكون إلا بعد القرون المتطاولة من تنزيله، كل ذلك بمعزل عن الذي طولب به العرب، وهو أن يستبينوا في نظمه، وبيانه، انفكاكه من نظم البشر- وبيانهم، من وجه يحسم القضاء بأنه كلام رب العالمين.

وههنا معنى زائد، فإنهم إذا أقروا أنه كلام رب العالمين بهذا الدليل، كانوا مطالبين بأن يؤمنوا بأن ما جاء فيه من أخبار الأمم، وأنباء الغيب، ودقائق التشريع، وعجائب الدلالات على أسرار الكون، هو كله حق لا ريب فيه، وإن ناقض ما يعرفون، وإن باين ما اتفقوا على أنه عندهم، أو عند غيرهم حق لا يشكون فيه. إذن فإقرارهم من وجه النظم والبيان أن هذا القرآن كلام رب العالمين، دليل يطالبهم بالإقرار بصحة ما جاء فيه من كل ذلك، أما صحة ما جاء فيه، فليست هي الدليل الذي يطالبهم بالإقرار بأن نظم القرآن وبيانه، مباين لنظم البشر وبيانهم، وأنه بهذا من كلام رب العالمين، وهذا أمر في غاية الوضوح[1].

(١) انظر: الظاهرة القرآنية، لمالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، ص ٢٨-٣٠، الناشر: دار الفكر - دمشق سورية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠م.

المطلب الخامس:

أركان الإعجاز البياني

الإعجاز البياني له ثلاثة أركان:

الأول: التحدي، فعلى مر التاريخ، ثبت ضعف، وعجز العرب جميعًا عن مضاهاة القرآن الكريم، والإتيان بمثله، على اختلاف مراحله الثلاث.

الثاني: وجود الدافع عند المشركين الأوائل، وأعداء الإسلام بصفة عامة، منذ البعثة حتى قيام الساعة، لأن النبي ﷺ حين دعاهم إلى الله تعالى، أيقنوا أن هذه الدعوة ستقضي على مكانتهم، وسيفقدهم زعامتهم، وستجعل الأفضلية عند الله تعالى بالتقوى، ومن هنا كانوا في أمس حاجة، إلى أن يواجهوا القرآن الكريم، ويأتوا ولو بسورة منه، لكنهم عجزوا عن آخرهم.

الثالث: عدم وجود المانع عند المتحدى من قبول التحدي، وذلك من وجوه ثلاثة:

١- من الناحية اللفظية (ب) من الناحية المعنوية (ج) من الناحية الزمنية.

أما من الناحية اللفظية: فإنهم كانوا أرباب الفصاحة، والبلاغة، ويشهد بذلك ما حفلت به كتب اللغة على اختلاف أنواعها، من خطبهم، وأشعارهم، وأمثالهم، إلخ.

حتى قال فيهم الرافعي – رحمه الله -: " كالعرب أصحاب الفطرة اللغوية والحسِ البياني الذين صرفوا اللغة، وشققوا أبنيتها، وهذبوا حواشيها، وجمعوا أطرافها، واستنبطوا محاسنها، وكانوا يستفلون ذلك من أسرار الطبيعة في أنفسهم، وأسرار أنفسهم في الطبيعة"(١).

(١) انظر: إعجاز القرآن، للرافعي، ص ١٣٩.

وأما من الناحية المعنوية: فإن العرب كانوا على مستوى من رجاحة العقل، والفطرة، والذكاء، بحيث يستطيعون الإتيان بمث القرآن لو كان من كلام البشر، لكن أنى لهم ذلك، وهو كلام الله {**تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**} فصلت/ ٤٢.

= وأما من الناحية الزمنية: فإن القرآن الكريم لم ينزل دفعة واحدة، وإنما نزل منجمًا في ثلاث وعشرين سنة، وبقى التحدى قائمًا، ولو نزل القرآن دفعة واحدة، لاعتذروا بأن الوقت قصير، ولطلبوا من النبى –صلى الله عليه وسلم- أن يمهلهم، لكن الوقت طويل، ولم يكن لديهم مانع، إلا شعورهم بالعجز"[(١)].

(١) انظر: الإعجاز البيانى للقرآن الكريم، أركانه، ومظاهره، للدكتور/ حسين مطاوع الترتورى، ص ٢٦٦-٢٣٠، بتصرف، مجلة البحوث الإسلامية، ١٩٨٨.

المطلب السادس:

ألوان، ومظاهر الإعجاز البياني

الإعجاز البياني له ألوان ثلاثة، بيانها على النسق التالي:

الأول: الحروف، وأصواتها. **الثاني:** الكلمات، وحروفها. **الثالث:** الجمل، وكلماتها.

والألوان الثلاثة معروفة عند بنت الشاطئ – رحمها الله – ب:

١- فواتح السور، وسر الحرف.

٢- دلالات الألفاظ، وسر الكلمة.

٣- الأساليب، وسر التعبير[(١)].

أما عن سر الحرف:

ما مِنْ حرف في القرآن الكريم تأوَّلوه زائدًا، أو قدَّروه محذوفًا، أو فسرُوه بحرف آخر، لا يتحدى بسرَّه البياني كل محاولة لتأويله على غير الوجه الذي جاء به في البيان المعجز.

فالجملة القرآنية مؤلفة من عدة كلمات، والكلمة القرآنية مكونة من عدة أحرف، وكل من الجمل، والكلمات، والحروف لها دور في بلاغة القرآن، وفصاحته، وإعجازه.

والحروف القرآنية نوعان:

١) حروف المباني: وهي الحروف التي تُبنى، وتؤلف، وتُكون منها الكلمات، فحروف القاف، والألف، واللام، هي حروف المباني لكلمة (قال)، وحروف المباني ينظر لها عند النظر في الكلمة القرآنية، وقد يطلقون على حروف المباني: (الحروف غير العاملة).

(١) انظر: الإعجاز البياني للقرآن، للدكتورة/ عائشة عبد الرحمن، ص ١٣٧.

٢) حروف المعانى: وهى الحروف التي تدل على معنى من المعانى، ولها عمل في إعراب الكلمة، ودور في إعراب الجملة، وقد يطلقون على حروف المعانى: (الحروف العاملة)، وحروف المعانى، مثل: حروف الجر، والنصب، والشرط، والاستفهام، والعطف، والحروف الناسخة للابتداء"(١).

وأما عن سر الكلمة:

" البيان القرآني يجب أن يكون له القول الفصل فى قضية الترادف التي اختلف فيها علماء العربية، حين يهدي إلى سر الكلمة لا تقوم مقامَها كلمةٌ سواها من الألفاظ المقول بترادفها، والأمر كذلك في ألفاظ القرآن: ما من لفظ فيه يمكن أن يقوم غيره مقامه وذلك ما أدركه العرب الخلَّص الفصحاء الذين نزل فيهم القرآن"(٢).

"إن للكلمة القرآنية مزية لا تجدها في الكلمات التي يتكون منها كلام الناس وتعابيرهم، مهما سمت في مدارج البلاغة، والبيان.

فهي أولا: تتناول من المعنى سطحه، وأعماقه، وسائر صوره، وخصائصه، ولا تقف عند العموميات التي تقف عند حدودها تعبيراتنا البشرية التي تعاني من العجز الذي أوضحناه.

(١) انظر: البيان في إعجاز القرآن، للدكتور/ صلاح الخالدى، ص ١٤٥،١٤٦.

(٢) انظر: الإعجاز البيانى للقرآن، للدكتورة/ عائشة عبد الرحمن، ص ٢٠٩.

وهي ثانيا: تمتاز عن سائر مرادفاتها اللغوية بتطابق أتم مع المعنى المراد، فمهما استبدلت بها غيرها، لم يسدّ مسدّها ولم يغن غناءها، ولم يؤد الصورة التي تؤديها"[1].

• "وتمتاز الكلمة التي تتألف منها الجمل القرآنية بالميزات التالية:

أ- جمال توقيعها في السمع: فليس في القرآن لفظ ينبو عن السمع، أو يتنافر مع ما قبله، أو ما بعده، فالكلمة القرآنية في الذروة من الفصاحة، وهي تحمل المعنى في طياتها، واقرأ إن شئت قوله تعالى: {**أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها ۝٢٨ وَأَغْطَشَ لَيْلَها وَأَخْرَجَ ضُحاها**} النازعات/ ٢٧ – ٢٩، وانظر إلى كلمة (أغطش) كيف أنها تقدم لك المعنى في تلافيف حروفها قبل أن تقدمه في معناها اللغوي المحفوظ، وفي الوقت نفسه هي منسجمة مع ما قبلها وما بعدها من الألفاظ، لا ثقل فيها، ولا إغراب، وكذلك بقية ألفاظ الآية، فكلها توقع على السمع موسيقى رائعة في منتهى الجمال.

ب- اتساقها مع المعنى: وكأن القارئ يشم منها رائحة المعنى المطلوب، أو يلحظ فيها إشراقا يصور المعنى أمام العين، اقرأ قوله تعالى: {**وَاللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ**} التكوير/ ١٧، ١٨، ثم انظر كيف أنك تشم رائحة النهار من كلمة (تنفس).

ج- اتساع دلالتها، لما لا تتسع له دلالات الكلمات الأخرى من المعاني، والمدلولات عادة، بحيث يعبر بكلمة واحدة عن معنى لا يستطاع التعبير عنه إلا ببضع كلمات أو جمل، وخذ مثالًا على ذلك قوله تعالى: {**أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۝٧١ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ ۝٧٢ نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً وَمَتاعاً لِلْمُقْوِينَ**} الواقعة/ ٧١ – ٧٣، أراد الله تعالى أن يحدثنا في هذه الآية عن مظاهر نعمته علينا، ومن جملتها النار، فنبهنا إلى مختلف فوائدها

(١) انظر: من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، لمحمد سعيد رَمضان البوطي، ص ١٤٠،١٣٩، الناشر: موسسة الرسالة – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

لحياتنا على اختلاف أطوارها، فعبر عن ذلك بكلمة (المقوين) التي تحمل كل المعاني التي يمكن أن يعبر بها عن فوائد النار، فهي: جمع مقو، وهو المسافر، والجائع، والمستمتع، والنار إنما يستفيد منها المسافر، كما يحتاجها الجائع لتحضير طعامه، وهي إلى جانب ذلك كله من أسباب المتعة والرفاهية.

وهذه الميزات الثلاث قلما يتخلف اجتماعها في كلمات القرآن، بينما لا تجتمع في غيره إلا نادرًا، وما ذاك إلا لأن القرآن من كلام رب العالمين"[(١)].

← **وأما عن سر الجملة:** فيتجلى مظهر الإعجاز فيها بما يلي:

أ- التلاؤم والاتساق بين كلماتها، وتلاحق حركاتها وسكناتها، بنظم بديع يستريح له السمع، والصوت والنطق، واقرأ إن شئت قوله تعالى: {**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**} القمر/ ١١، ١٢، وتأمل تناسق الكلمات في كل جملة، وتأمل أيضًا تآلف الحروف، وتعاطف الحركات، والسكنات، والمدود، وانظر كيف أن كلًا منها كأنما صب في مقدار، وأنه قدر بعلم اللطيف الخبير.

ب- الدلالة بأقصر عبارة على أوسع معنى تام متكامل، دون اختصار مخلّ، أو ضعف في الدلالة، واقرأ في هذا قوله تعالى في سورة الكهف: {حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها} الكهف/ ٧٧، فكان الإتيان بالضمير هنا يؤدي المعنى، كأن يقال: استطعماهم، ولكن الإتيان بالاسم الظاهر- وهو أهلها- يفيد معنى أعم، وأوسع، لأنه جمع مضاف

(١) انظر: الواضح في علوم القرآن، لمصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، ص ١٦٦،١٦٧، الناشر: دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

يفيد العموم، فيدل على أنهما استطعما جميع أهل القرية، بخلاف (استطعماهم) فإنه يحتمل أن الاستطعام كان لمن أتياهم، وهم سكان أول القرية.

ج- إخراج المعنى المجرد في مظهر الأمر المحس الملموس، ثم بث الروح، والحركة في هذا المظهر نفسه، بحيث يجد القارئ إقناع العقل، وإمتاع العاطفة، بما يفي بحاجة النفس البشرية تفكيرًا ووجدانًا في تكافؤ، واتزان، فلا تطغى قوة التفكير على قوة الوجدان، ولا قوة الوجدان على قوة التفكير، وهكذا تجد وأنت تقرأ القرآن أن العقل يفهم، والخيال يتصور، وذلك خلاف المألوف، والمعروف لدى قراءة أي كلام، أو كتاب آخر، واقرأ- على سبيل المثال قوله تعالى: {**إِنَّا جَعَلْنا فِي أَعْناقِهِمْ أَغْلالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ**} يس/ ٨، ٩، وانظر كيف تضع في خيالك إنسانًا يلتف حول عنقه غل عريض، مرتفع إلى ذقنه، جعل رأسه صاعدًا إلى الأعلى لا يتحرك، فتلك هي الصورة الساخرة للتكبر، ثم انظر حاله وهو في مكان مغلق، وقد غشى الظلام على بصره، فهو لا يملك حراكًا نحو أي اتجاه، وتلك هي صورة من لم ينفع معه هدي، وظل في ضلاله "[1].

(١) انظر: من روائع القرآن، للدكتور/ البوطى، ص ١٤٤-١٤٧، الواضح في علوم القرآن، لمصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، ص١٦٧، ١٦٨.

المطلب السابع:

جوانب الإعجاز البياني

"الإعجاز البياني له جانبان: **الأول:** جانب ظاهري: وهو ألفاظ القرآن، وجمله، وتراكيبه، أو هو أسلوب القرآن، وطرائق العرض الفني فيه، أو هو الصورة، والشكل، والقالب الخارجي.

وهذا الجانب هو الميدان الذي يخوض فيه الباحثون في (الإعجاز البياني)، وهو الذي يبرز فيه ذلك الإعجاز البياني، ويتذوقه الباحثون، ويردكونه، ويقفون عليه.

الثاني: جانب موضوعي: وهو معاني القرآن، وموضوعاته، أو مضامين القرآن، ومناهجه، وعلومه، ونظمه، وحقائقه، وتشريعاته.

وهذا الجانب هو الميدان الذي يخوض فيه الباحثون في مضامين القرآن، ومعانيه، الذين يستخرجون وجوه الإعجاز الأخرى، مثل: الإعجاز العلمي، والإعجاز الغيبي، والإعجاز التشريعي، وغيرها "[1].

(١) انظر: البيان في إعجاز القرآن، للدكتور/ صلاح الخالدي، ص ١٤٢.

الفصل الثاني: نماذج من الإعجاز البياني

المبحث الأول: الفرق بين العام، والسنة، والحول، والحِجّة

اعتنى جهابذة اللغة العربية بدراسة كثير من الفروق اللغوية، فقاموا بالتفريق بين كثير من الألفاظ المتشابهة، والتي يعتقد البعض أنها بمعنى واحد – كما بينت سلفًا – وبالتالي يستخدمونها، ويعبرون عنها بنفس الاستخدام، دون تفرقة بينهما.

ومن بين هذه الألفاظ (العام، والسنة، والحول، والحِجّة) فالبعض يستعمل هذه الألفاظ بمعنى واحد، على أساس أنها مترادفة، مع أن بينهم فروقًا لغوية بيانية، ولا يقوم لفظ مكان الآخر.

" وبذلك تظهر أسرار التخصيص لبعض الأسماء المترادفة كالسَّنَةِ والعَامِ، والحَولِ، والحجة، ببعض الأماكن، ولا يقوم آخر مرادف له بمكان آخر، فإنَّ السياق نظرًا إلى أصل المعنى المشتق منه ذلك اللفظ، فينضم إلى المعنى الموضوع له ذلك اللفظ معنى آخر من أصل الاشتقاق، فلا يقوم المرادف مقامه لفوات ما أداه الاشتقاق كما دعا إلى ذلك السياق"(١).

← ومن الفروق المشهورة بين لفظي (العام، والسنة):

أن لفظ (السنة) لا يستعمل إلا في حال المعاناة، والضيق، والشدة التي يواجهها البعض.

على العكس من لفظ (العام) الذي يستعمل في حال الرخاء، واليسر، والفرج.

ومن خلال دراستنا لما ورد فيهما من فروق وجدنا أن العلماء انقسموا حيالهما إلى فريقين:

الفريق الأول: يرى أنهما بمعنى واحد، ولا فرق بينهما.

= فقد قال صاحب (نهاية الأرب في فنون الأدب) رحمه الله:" أما الفرق بين السنة، والعام، فإنهم يقولون: سنة جدب، و عام خصب، قال الله تعالى: {**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ**

(١) انظر: الإمام البقاعي، ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، لمحمود توفيق محمد سعد، ص ٧١.

فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} الأعراف/ ١٣٠، وقال تعالى: {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} يوسف/ ٤٩.

والصحيح: أنهما اسمان موضوعان على مسمى واحد، قال الله تعالى: {فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا } العنكبوت/ ١٤"[1].

= وعن ترادف اللفظين، وأنه لا فرق بينهما، قال الإمام الشعراوى – رحمه الله –: "ونلحظ هنا {أَلْفَ سَنَةٍ}، ثم استثنى منها {إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً}، ولم يقُلْ: خمسين سنة، فاستثنى الأعوام من السنين، ليدلَّك على أن السنة تعني أيَّ عام، ويُرفَع الخلاف، لأن البعض يقول: إن السنة هي التي تبدأ من أول المحرم إلى آخر ذي الحجة، في حين أن السنة ليس من الضروري أنْ تبدأ بالمحرم وتنتهي بذي الحجة، إنما تبدأ في أي وقت، وتنتهي في مثله بعد عام كامل.

فحين نقول: فلان عمره مثلًا عشرون سنة، أي: من يوم مولده إلى مثله عشرين مرة، وكذلك العام.

إذن: السنة، والعام، والحجة، كلها سواء أردتَ الحساب بالسنة الشمسية، أو القمرية، أو غيرها كما تحب"[2].

(١) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ١/ ١٥٣، تحقيق: مفيد قمحية، وجماعة، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي – الخواطر، لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) ١٨/ ١١٠٩٨، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

الفريق الثاني: يرى أن بينهما فرقًا، وأنهما ليس بمعنى واحد، وقد ذهب إلى ذلك كثير من العلماء، إلا أنهم اختلفوا في الفرق بينهما من جهتين:

الجهة الأولى: من ناحية المنطوق، حيث قالوا:

"كثيرًا ما تستعمل السنة: في الحول الذي يكون فيه الشدة، أو الجدب، ولهذا يعبر عن الجدب بالسنة، والعام: بما فيه الرخاء، والخصب، قال تعالى: {**عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون**} وقوله: {**فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما**} ففي كون المستثنى منه بالسنة، والمستثنى بالعام لطيفة، حيث عبر عن المستثنى بالعام، وعن المستثنى منه بالسنة، وفي الأثر: " اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ "[1] "[2].

وللإمام أبي هلال العسكري كلام نفيس في هذا الصدد، حيث قال رحمه الله –: "الفرق بين العام والسنة: ولا يفرق عوام الناس بين السنة، والعام ويجعلونهما بمعنى واحد.

---

(١) انظر: الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل، أبو عبدالله، البخاري، الجعفي، كتاب: صفة الصلاة، باب: يهوى بالتكبير حين يسجد ١/ ٢٧٧، حديث رقم: ٧٧١، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، الجامع الصحيح، المسمى صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، القشيري، النيسابوري، كتاب:المساجد، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة ٢/ ١٣٤، حديث رقم: ١٥٧٢، الناشر: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت، كليهما من حديث سيدنا: أبي هريرة – رضى الله عنه –.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، ص ٣٤٥، معترك الأقران ٣/ ٤٨٩، إعجاز القرآن، للدكتور/ فضل عباس، ص ١٨٢، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ) ٢/ ٤٢٣، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

ويقولون لمن سافر في وقت من السنة، أي وقت كان إلى مثله: عام، وهو غلط، والصواب: ما أخبرت به عن أحمد بن يحيى أنه قال: السنة من أول يوم عددته إلى مثله، والعام لا يكون إلا شتاء، وصيفًا.

وفي التهذيب أيضا: العام: حول يأتي على شتوة، وصيفة.

وعلى هذا فالعام أخص من السنة، وليس كل سنة عامًا، فإذا عددت من يوم إلى مثله فهو سنة.

وقد يكون فيه نصف الصيف، ونصف الشتاء، والعام لا يكون إلا صيفًا، أو شتاء متوالين.

أقول: وتظهر فائدة ذلك في الأيمان، والنذر، فإذا حلف، أو نذر أن يصوم عامًا لا يدخل بعضه في بعض، إنما هو الشتاء، والصيف، بخلاف ما لو حلف، ونذر سنة "[1].

= ولإيراد كثير من الأمثلة للتأكيد على وجود فرق بين اللفظين، وتوضيح أكثر، يقول جامع

(الإعجاز اللغوى والبيانى في القرآن الكريم):

"ولنتدبر بعض الآيات التي تعتبر مفاتيح لمعنى السنة، والعام والتي تربط بين السنة، والعام: قال الله سبحانه وتعالى في الآية رقم ١٤ من سورة العنكبوت: {**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**} العنكبوت/ ١٤.

(١) انظر: معجم الفروق اللغوية، لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ص ٣٤٨، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

وقال سبحانه وتعالى في سورة يوسف: { **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**} يوسف/ ٤٧-٤٩.

في الآيات السابقة: نجد أنه حيثما ترد السنة، أو السنين فذلك يعني الشدة، والتعب، والظلم، والطول.

وعلى العكس حيثما يرد العام فذلك يعني السهولة، واليسر والرخاء، وقصر المدة.

ففي المثال الأول، والخاص بمدة الرسالة التي قضاها نوح – عليه السلام – في قومه بما فيها من شدة، ونصب، وتكذيب، واستهزاء، ثم ما كان من يسر، ورجاء لنوح – عليه السلام – بعد الطوفان الذي أغرق الكافرين، وبعد أن عاش مع المؤمنين، فقد ذكر القرآن الكريم أن نوحًا – عليه السلام – لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، أي أنه لبث في الشدة ٩٥٠ سنة، وفي الرخاء بعد إهلاك الكافرين الطوفان خمسين عامًا.

وفي المثال الثاني: من سورة يوسف فقد جاءت {سبع سنين} مع العمل الدءوب، والجهد، والتعب، ثم جاءت {سبع شداد} وهي صفة للسنين مع الضنك، والجدب.

أما لفظ (العام) فقد جاء مع الغيث، والمطر، واليسر والرخاء {عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ}.

• وحينما نرجع إلى جميع آيات القرآن الكريم التي وردت فيها (سنة) و(سنين) لوجدنا صفة الشدة، والطول هي الغالبة على المعنى، وقد وردت في القرآن الكريم ٢٠ مرة نذكر بعض الأمثلة منها:

{**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ**} الأعراف/ ١٣٠.

{فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا} الكهف/ ١١.

{أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ} الشعراء/ ٢٠٥.

{قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ} الشعراء/ ١٨.

{فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ} طه/ ٤٠.

وهذه الآية فيها لفتة عظيمة: حيث تدل على الأجل الذي قضاه موسى – عليه السلام – في مدين، وأن هذا الأجل هو عشر حجج حينما خيّره والد الفتاة {قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ} القصص/ ٢٧. وقد جاءت الآية بأن موسى – عليه السلام – قد لبث سنين في أهل مدين، وبالمعنى الخاص بالسنين، وهو طول المدة فإن ذلك يعني: أن موسى – عليه السلام – قد قضى أطول الأجلين، أي: عشرة سنوات، وبالطبع فإن هذه خصوصية النبوة، وهي إتمام الخير. لاحظ معي أيها القارئ الكريم هذه الدقة في القرآن، وأن أي كلمة لا تأتي عفوًا.. وإنما هي الحكمة.

• ووردت كلمة عام، وعامين في القرآن الكريم ١٠ مرات، وهي تعني: اليسر، والرخاء، وقلة المدة، أو قصرها حسب الحالة النفسية للشخص، أو الأشخاص، ونذكر فيما يلي أمثلة من ذلك:

{أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ} التوبة/ ١٢٦، وتعني هنا: قصر المدة التي تتم خلالها الفتنة، وقال تعالى: {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} يوسف/ ٤٩، وهي تعني هنا: اليسر والرجاء، وقال تعالى: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ} لقمان/ ١٤، وهي تعني هنا: الحب، والفرح بالوليد خلال

فترة الرضاعة "[1].

الجهة الثانية: من ناحية الاستعمال، فقالوا عنها: " أن السنة تستعمل أكثر ما تستعمل في (السنة) الشمسية، على حين يستعمل (العام) للقمرية، ونحن نعلم أن بينهما أحد عشر يومًا تقريبًا، ومن هنا فلا عجب أن تدهشنا روعة التعبير في اختيار الكلمات، حيث ذكرت السنة فيما قضاه نوح،عليه، وعلى نبينا، وأنبياء الله – صلوات الله وسلامه – وذكرت كلمة (العام) بجانب المدة التي استثنيت من ذلك، وفي هذا تصوير لما عاناه عليه الصلاة والسلام من شدة في الأمر، ومقارعة لأعداء الله، وطول أمد، وإذا تدبرنا كتاب الله تعالى، فإننا لن نجد أي كلمة منه تشبه غيرها، فضلًا عن أن تسد مسدها"[2].

← **وأما الحول:** " فإنه يقع على الخصب، والجدب جميعًا. فالحول يعني العام الذي يتم فيه فعل الشيء بلا انقطاع، فمعناه يختف عن معنى السنة، ويختلف كذلك عن معنى العام، لأن السنة، والعام هي فترات زمنية يأتي خلال أي جزء منها الحدث، أو الفعل، وليس شرطًا أن يكون الحدث، أو الفعل مستمرًا خلالها، أما الحول فيكون الحدث، أو الفعل فيه مستمرًا بدون انقطاع. ونذكر الآيتين اللتين ورد فيهما الحول: {**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ**} البقرة/ ٢٤٠، وهي تعني أن يكون المتاع طوال العام مستمرًا بدون انقطاع.

{**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**} البقرة/ ٢٣٣، وهي تعني: أن الرضاعة مستمرة بلا انقطاع طوال العامين{ **وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ**} لقمان/ ١٤. من الدراسة السابقة

---

(١) انظر: الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة/ علي بن نايف الشحود، ص ٦٨،٦٧.

(٢) انظر: إعجاز القرآن، للدكتور/ فضل عباس، ص ١٨٣.

يتبين لنا الفروق الجوهرية بين معنى السنة، ومعنى العام، ومعنى الحول، وأنها يجب أن يتم فهمها على النحو الصحيح حتى نتدبر آيات القرآن، ونفهمها على أحسن وجه"[١].

← **وأما الحِجّة:** فإنها عبارة عن فترة زمنية تكون خلال العام، وهي موعد الموسم منه، ولذلك يقول البعض: (موسم الحج)، ومن المعلوم أن فريضة الحج تكون خلال وقت معين من العام، وقد استعمل القرآن الكريم لفظ (الحجج) في قوله تعالى: { **قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ**} القصص/ ٢٧.

= قال ابن منظور – رحمه الله – في هذا الصدد: " الحِجَّةُ هَاهُنَا المَوْسِمُ؛ وَقِيلَ: فِي كُلِّ حِجَّة، أَي: فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَجَمْعُهَا حِجَجٌ"[٢].

= وحول أصل هذه الكلمة، والمراد منها يقول (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) رحمه الله: " الحجة: تفيد أنها يحج فيها، والحجة المرة الواحدة من حج يحج، والحجة: فِعلة، مثل: الجلسة، والقعدة، ثم سميت بها السنة، كما يسمى الشئ بإسم ما يكون فيه"[٣].

= كما أدلى الطاهر بن عاشور – رحمه الله – بدلوه في هذا الأمر، فقال: "والحجج: اسم جمع حجة بكسر الحاء، وهي السنة، مشتقة من اسم الحج، لأن الحج يقع كل سنة، وموسم الحج يقع في آخر شهر من السنة العربية"[٤].

والله تعالى أعلم

---

(١) انظر: صبح الأعشى ٢/ ٤٢٤، والإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، ص ٦٨، نقلًا من: تقديم الدكتور سعد عبد المقصود ظلام لتفسير ابن كثير، وحكمة الدين ـ لوحيد الدين خان.

(٢) انظر: لسان العرب ٢/ ٢٣٠.

(٣) انظر: معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ص ١٧٦.

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٢٠/ ١٠٦، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م.

المبحث الثاني:

الفرق بين الزوجة، والمرأة، والصاحبة

من الفروق اللغوية التي وردت بين ثنايا ألفاظ القرآن الكريم، استعماله لكلمات (الزوجة، والمراة، والصاحبة)، والبعض يعتقد أن هذه الألفاظ مترادفة، ويقوم أحدهم مكان الآخر، وهذا ما يأباه الإعجاز البيانى للقرآن الكريم، لأن كل لفظ لا يسد مسده لفظ آخر، وهذا سر إعجاز القرآن الكريم.

ومن الفروق التي ذاع صيتها بين هذه الألفاظ سالفة الذكر:

• أن لفظ (الزوجة) يستعمل عندما تكون العلاقة بين الزوجين قائمة على الرحمة، والمودة، والسكن، والاستقرار، والانسجام، والتلاؤم الفكرى بينهما، ووجود التكاثر والذرية بينهما، والتي هي أساس العلاقة الزوجية، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: {**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**} الروم/ ٢١.

والأدلة على ذلك كثيرة من القرآن الكريم، منها: { وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} البقرة/ ٣٥، وقوله تعالى: { **أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً**} الأحزاب/ ٢٨، فنظرًا لوجود توافق عقائدى، وجسدى، وفكرى، بينهما سماها القرآن الكريم (زوجة).

• أما لفظ (المرأة) فالشائع أنه يطلق على الأنثى، حتى وإن كانت غير متزوجة، لكننا بصدد الحديث عن إطلاق هذا الاسم على التي تزوجت، متى يطلق عليها، فنلاحظ أن هذا اللفظ يستعمل عند انقطاع العلاقة بين الزوجين، وعدم اكتمالها في أتم صورها، بأى سبب كان هذا الانقطاع.

سواء كان هذا الانقطاع بسبب تباين العقيدة بينهما، كما حدث بين سيدنا نوح – عليه السلام – وامرأته، فقال تعالى: { **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**} التحريم/ ١٠، فحينما اختلفت العقيدة بين الزوجين سماها القرآن الكريم (امرأة)، وقال تعالى: {**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**} التحريم/ ١١.

أو كان هذا الانقطاع بسبب خيانة المرأة، وعدم حفاظها على شرفها، كما في قوله تعالى: {**وَقالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَها حُبًّا إِنَّا لَنَراها فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**} يوسف/ ٣٠.

أم كان هذا الانقطاع بسبب وجود عقم عند المرأة، كما يفهم ذلك من قوله تعالى على لسان سيدنا زكريا – عليه السلام – حين قال: { **وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ مِنْ وَرائِي وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا**} مريم/ ٥، فقد وصفها بالعاقر، لأنها لا تنجب، ولما زال السبب، وتحققت العلاقة الزوجية في أتم صورها، وامتن الله تعالى عليهما، ووهبها سيدنا يحيى – عليه السلام – سماها القرآن الكريم (زوجة) فقال تعالى: { **فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَوَهَبْنا لَهُ يَحْيى وَأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً وَكانُوا لَنا خاشِعِينَ**} الأنبياء/ ٩٠.

• وأما لفظ (الصاحبة) فيستعمل عند انقطاع العلاقة الجسدية، والفكرية بينهما، جملة، وتفصيلًا، وهذا ما أشارت إليه الآيات القرآنية خاصة عند وقوع، ومعاينة أهوال يوم القيامة، قال تعالى: { **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ**

امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} عبس/ ٣٤-٣٧، وتأكيدًا على هذا الأمر قال تعالى: {**بَدِيعُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**} الأنعام/ ١٠١، لينفي الله تعالى نفيًا حاسمًا عدم وجود هذا الأمر مع الطرف الآخر.

وما أشرنا إليه سلفًا ذهب إليه كثير من العلماء، فقالوا: " ترى البيان القرآني يستعمل لفظ (زوج) حيثما تحدث عن آدم، وزوجه: (آيات البقرة ٣٥، الأعراف ١٩، وطه ١١٧).

على حين يستعمل لفظ (امرأة) في مثل: امرأة العزيز، وامرأة نوح، وامرأة لوط، وامرأة فرعون.

قد يبدو من القريب أن يترادفا فيقوم أحد اللفظين مقام الآخر، وكلاهما من الألفاظ القرآنية، فنقول في "زوج آدم" مثلًا: امرأة آدم، وفي "امرأة العزيز": زوج العزيز، وذلك ما يأباه البيان المعجز.

وهو الذي يعطينا سرَّ الدلالة في الزوجية مناط العلاقة بين آدم، وزوجه في قصة أول زوجين من البشر، ولم تكن زوج آدم امرأة من أخريات، بل كانت وحدها الزوج، وكانت الزوجية، ولا شيء غيرها، مناط علاقتها بآدم، وسر وجودها.

ونتدبر سياق استعمال القرآن للكلمتين:

كلمة (زوج) تأتي حيث تكون الزوجية هي مناط الموقف: حكمة، وآية، أو تشريعًا، وحُكمًا: في آية الزوجية، قال تعالى:

{**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**} الروم/ ٢١، و{**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**} الفرقان/ ٧٤، وكذلك الأمر في "أزواج" بالحياة، في مثل آيات:

الواقعة ٧، والبقرة ٢٥، وآل عمران ١٥، والنساء ٥٦، والزخرف ٧٠، ويس ٥٦، فإذا تعطلت آيتها من السكن، والمودة، والرحمة، بخيانة، أو تباين في العقدية، فامرأة، لا زوج: {امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا} يوسف/ ٣٠، و{امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} التحريم/ ١٠، ومعها في امرأة لوط، آيات: العنكبوت ٣٣، النمل ٥٧، الحجر ٦٠، الذاريات ٨١، الأعراف ٨٣. "امرأة فرعون" وقد تعطلت آية الزوجية بينهما، بإيمانها، وكفره.

وحكمة الزوجية في الإنسان، وسائر الكائنات الحية من حيوان، ونبات، هي اتصال الحياة بالتوالد، وفي هذا السياق يكون المقام لكلمة زوج، وزوجين، وأزواج، من ذكر، وأنثى، كآيات: النساء ١، هود ٤٠، الشورى ١١، يس ٣٦، الذاريات ٤٩، النجم ٤٥، النبأ ٨، ومعها: المؤمنون ١٧، الأنعام ١٠٣، الزمر ٦، الرعد ٣، لقمان ١٠، الحج ٥، الشعراء ٧، طه ٥٣، ق ٧.

فإذا تعطلت حكمة الزوجية في البشر بعقم، أو ترمل، فامرأة لا زوج، كالآيات في امرأة إبراهيم، وامرأة عمران (هود ٧١، والذاريات ٢٩، آل عمران ٣٥).

ويضرع زكريا إلى الله سبحانه: {وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا} مريم/ ٥، و{قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ} آل عمران/ ٤٠، ثم لما استجاب له ربه وحققت الزوجية حكمتها، كانت الآية: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ} الأنبياء/ ٩٠.

وبملحظ دقيق من تقرير التكامل بين الزوجين، لم يستعمل القرآن الكريم كلمة "زوجة" – وإن صحت عربيةً – في الإفراد، ولا في التثنية، والجمع، بل هي زوجه، وهو زوجها،

وهما زوجان، وهن أزواجهم، وهم أزواجهن،.. يطرد ذلك حيثما وردت الكلمة في البيان القرآني"[1].

من هنا يتبين لنا: أن هناك فرق بين الألفاظ الثلاثة سالفة الذكر، فلكل منهم معان مستقلة به وردت من خلال آيات القرآن الكريم، حتى لا يلتبس علينا الأمر في فهم هذه المعاني، وللدلالة على أن القرآن الكريم كتاب معجز { **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**} فصلت/ ٤٢.

(١) انظر: الإعجاز البياني للقرآن الكريم، لبنت الشاطئ، ص ٢٢٩/ ٢٣٠، والإعجاز اللغوي والبياني للقرآن الكريم، ص ٤١٠، و ١٠٠٠ سؤال وجواب في القرآن، لقاسم عاشور، ص ١٨، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

المبحث الثالث:

الفرق بين (سنابل، وسنبلات)

كلمة (السنابل) وردت في قوله تعالى: {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} البقرة/ ٢٦١.

وكلمة (سنبلات) وردت في قوله تعالى: { وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ} يوسف/ ٤٣.

وبين الكلمتين فرق في المعنى، ولا يصح وضع أحدهما موضع الآخر، فلكل واحد منهما دلالته الخاصة به، وإن كان كل منهما يدل على الجمع.

- فكلمة (سنابل) جمع يدل على الكثرة، وهذه الآية مفادها: بيان ما أعده الله تعالى للذى ينفق في سبيله، ومضاعف الأجر له إلى سبعمائة ضعف، وزيادة، فناسب أن يأتي معه جمع الكثرة. (سنابل) الذى يدل على المضاعف في الأجر، فصار هناك تناغم، وتلاؤم بين اللفظ، وبناؤه. (مفاعل) الموضوع للكثرة.
- وأما كلمة (سنبلات) جمع يدل على القلة، مالم تأت قرينة، وتعارض ذلك، ومفاد هذه الآية: بيان رؤيا الملك لسبع سنبلات، والتي وردت عن طريق الإخبار، ووقوعه قليل، فناسب أن يأت مع هذا الإخبار بجمع القلة، لأنه ما دون العشرة فهو قليل.

= وهذا ما أفصحت عنه عبارات الأفذاذ الأوائل الذين أدلوا بدلوهم في بيان الفرق بين اللفظين، حيث فرقوا بينهما من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: وهو المشهور" أن قوله تعالى: {**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة**}، وقال تعالى في سورة يوسف: {**وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر**}، فالمعدود واحد، والعدد واحد، وقد اختلف المفسر للمعدود فورد في سورة البقرة "سنابل " وبنيته فعائل من أبنية جمع الكثرة، وفي سورة يوسف "سنبلات " وباب ما يجمع بالألف والتاء أن يكون للقيل ما لم يقتصر عليه، أو يعرض عارض.

فللسائل أن يسأل عن الفرق الموجب لتخصيص كل من الموضعين بما ورد فيه؟ والجواب: أن آية البقرة مبنية على ما أعد الله للمنفق في سبيله وما يضاعف له من أجر إنفاقه، وأن ذلك ينتهي إلى سبعمائة ضعف، وقوله {والله يضاعف لمن يشاء} قد يفهم الزيادة على ما نص عليه من العدد، كما أشارت إليه آيات، وأحاديث، فبناء هذه الآية على التكثير، فناسب ذلك ورود المفسر على ما هو من أبنية الجموع للتكثير لحظًا للغاية المقصودة، ولم يكن ما وضعه للقيل في الغالب ليناسب ما تلحظ فيه الغاية من التكثير.

أما آية يوسف فإنما بناؤها على إخبار الملك عن رؤياه سبع سنبلات، فلا طريق هنا للحظ كثرة، ولا قلة، لأنه إخبار برؤيا فوجهه الاتيان من أبنية الجموع بما يناسب المرئي، وهو قليل لأن ما دون العشرة قليل، فلحظ في آية البقرة ما بعده مما يتضاعف إليه هذا العدد، وليس في آية يوسف ما يلحظ، فافترق القصدان، وجاء كل على ما يجب ويتناسب، والله أعلم "[1].

(١) انظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر ١/ ٧٠، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، البرهان في علوم القرآن ٤/ ٢٢، معترك الأقران ٣/ ١٨٩، لمسات بيانية، للدكتور/ فاضل صالح السامرائي ١/ ٦٣٦.

الوجه الثاني: " لَمَّا كان الكلام – ها هنا – في تضعيف الأجر، ناسبها جمع الكثرة، وفي سورة يوسف ذكرت في سياق الكلام في سنيّ الجدب؛ فناسبها التقليل؛ فجمعت جمع القلة "(١).

الوجه الثالث: " قولُهُ:{سبع سنابل} جمع تكسير للكثرة على وزن (مفاعل)، وأمَّا {سبعِ سنبلات} فلأجلِ مجاورتِهِ لقوله تعالى: {سبعِ بقرات} "(٢).

والله تعالى أعلم

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) ٤/ ٣٧٩، المحقق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨.

(٢) انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) ٢/ ٥٨١، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، بتصرف يسير.

المبحث الرابع:

الفرق بين (نرزقكم وإياهم) و (نرزقهم وإياكم)

يقول الله تعالى في سورة الأنعام: {وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} الأنعام/ ١٥١. ويقول في سورة الإسراء: {وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ} الإسراء/ ٣١. فالملاحظ: أنه في سورة الأنعام قدم رزق الآباء على رزق الأبناء، على العكس في سورة الإسراء، فإنه قدم رزق الأبناء على رزق الآباء. ولعل السر في ذلك:

• أن الآية الأولى: الخطاب فيها موجه إلى الفقراء، الذين هم فقراء بالفعل، فهم يقومون بقتل أولادهم لأن الواقع أنهم فقراء معدومون، وليس لديهم ما يمتلكونه للإنفاق على أولادهم، فالإملاق، وهو الفقر موجود أصلًا، وربما يظنوا أن ولادة المولود ستزيد فقرهم، لا أنه أتى بالفقر معه، حتى لا يسول لهم الشيطان أن هذا الغلام هو الذى أتى بالفقر، فقدم الله رزقهم هنا: ضمانًا، ووعدًا لهم من الله تعالى أنه متكفل برزقهم، ورزق أولادهم.

• أما الآية الثانية: فالخطاب فيها للأغنياء، وليس الفقراء، ولكنهم يخافون من وقوع الفقر في المستقبل، فهم يقومون بقتل أولادهم لهذه العلة، فأراد الله تعالى أن يبين لهم: أن الرزق مضمون للأولاد، بخلاف رزقهم الذى لا يشاركونكم فيه، فلا تخافوا من الفقر لأن خزائنى مملوءة لا تنفد، سبحانه وتعالى من رب لطيف بعباده.

= ومن هنا وردت كلمتى (نرزقكم، ونرزقهم) مناسبة لكل حالة من الحالتين، وأنه سبحانه قدّم في كل من الآيتين، ما حقه التقديم، وأخّر ما حقه التأخير.

وجاءت السنة النبوية ونهت عن هذا الأمر الواقع في الآيتين، فلقد روى عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قَالَ: قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «

ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قَالَ: قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»(١).

= وهذا ما أفصحت عنه عبارة أبو جعفر الغرناطي – رحمه الله – حيث قال: " قوله تعالى: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم}، وفي سورة بني إسرائيل [الإسراء] {ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم}، ففي الأولى: "من إملاق"، و"نرزقكم " بتقديم ضمير المخاطبين.

فللسائل أن يسأل عن وجه هذا الاختلاف في الآيتين مع اتحاد المقصد فيهما؟ والجواب عن ذلك، والله أعلم: أن المخاطبين بآية الأنعام إنما كان فعلهم ذلك من أجل الفقر الحاصل حال قتلهم، فقيل (من إملاق) أي: من أجل الإملاق الحاصل، ثم قيل لهم: (نحن نرزقكم وإياهم) فقد رزقه تعالى لهم لحصول فقرهم في الحال ليكون أمنع لهم، وكأن السياق يشعر بتشفيع الأولاد في رفع فقر الآباء القاتلين، فكأن قد قيل لهم: إنما ترزقون بهم، فلا تقتلوهم، فتأكد تقديم كفار العرب، وكان وأدهم البنات خشية الفقر المتوقع، والعجز عن مؤنتهن فيما يتوقعونه مستقبلًا، فقيل (خشية إملاق) فجعلت الخشية هي الغلبة في فعلهم، فانتصبت على ذلك، والمعلول الذي هو الإملاق لم يقع بعد، وضمن تعالى لهم رزقهم، ورزق أولادهم ودفع ذلك المتوقع ليرفع ذلك خشيتهم، فلهذا قدم هنا ضمير الأولاد، ثم عطف عليه ضمير الآباء، وكان الأهم هنا فقدم، وجاء كل في الموضعين على ما يجب ويتناسب، والله أعلم"(٢).

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك} ٦/ ٢٧٣٦، حديث رقم: ٧٠٩٤، وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: كون الشرك أقبح الذنوب ١/ ٦٣، حديث رقم: ٢٦٧.

(٢) انظر: ملاك التأويل ١/ ١٧٢.

= كما عبر عن هذه الحكمة الإمام الخطيب الإسكافي – رحمه الله – فقال: " قوله تعالى: {قل تعالوا أتلوا ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم}، وقال في سورة بني إسرائيل {ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نرزقهم وإياكم}. فأما قوله في سورة الأنعام: {نحن نرزقكم وإياهم} فلأن قبله: {ولا تقتلوا أولادكم من إملاق} أي: من أجل إملاق، وانقطاع مال، وزاد، وهذا نهي عن قتلهم مع فقرهم، وخوفهم على أنفسهم إذا لزمتهم مؤونة غيرهم، فكأنه قال: الذي يدعوكم إليه من حالكم في أنفسكم، ثم في غيركم لا يجب أن تشفقوا منه فإني أرزقكم، وإياهم.

وأما الآية الثانية فإنه قال فيها: (خشية إملاق) والإملاق غير واقع، فكأنه قال: خوف الفقر على الأولاد، وكان عقب هذا إزالة الخوف عنهم، ثم عن القاتلين، أي: لا تقتلوهم لما تخشون عليهم من الفقر، فالله يرزقهم، وإياكم، فقدم في كل موضع من الموضعين ما اقتضى تقديمه، وأخر ما اقتضى الموضع تأخيره، والله أعلم"(١).

= والإمام الرازي – رحمه الله – أدلى بدلوه في هذا الصدد، فقال:" قَوْلُهُ: {**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**} فَأَوْجَبَ بَعْدَ رِعَايَةِ حُقُوقِ الْأَبَوَيْنِ، رِعَايَةَ حُقُوقِ الْأَوْلَادِ، وَقَوْلُهُ: {**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ**} أَيْ: مِنْ خَوْفِ الْفَقْرِ، وَقَدْ صَرَّحَ بِذِكْرِ الْخَوْفِ فِي قَوْلِهِ: {**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ**} الْإِسْرَاءِ/ ٣١، وَالْمُرَادُ منه: النهي عن الواد إذا كَانُوا يَدْفِنُونَ الْبَنَاتِ أَحْيَاءً بَعْضُهُمْ لِلْغَيْرَةِ، وَبَعْضُهُمْ خَوْفَ الْفَقْرِ، وَهُوَ السَّبَبُ الْغَالِبُ، فَبَيَّنَ تَعَالَى فَسَادَ هَذِهِ الْعِلَّةِ بِقَوْلِهِ: {**نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**} لِأَنَّهُ تَعَالَى إِذَا

(١) انظر: دُرَّةُ التَّنْزِيلِ وَغُرَّةُ التَّأْوِيلِ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله، الأصبهاني، المعروف بالخطيب الإسكافي (ت٤٢٠ هـ) ص ١٨٧، دراسة، وتحقيق: محمد مصطفى آيدين، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١.

كَانَ مُتَكَفِّلًا بِرِزْقِ الْوَالِدِ، وَالْوَلَدِ فَكَمَا وَجَبَ عَلَى الْوَالِدَيْنِ تَبْقِيَةُ النَّفْسِ، وَالِاتِّكَالُ فِي رِزْقِهَا عَلَى اللهِ، فَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي حَالِ الْوَلَدِ"[(١)].

= ويزيد الكلام وضوحًا، وبيانًا الشيخ/ عبد الكريم الخطيب – رحمه الله – فقال: "وفى قوله تعالى: {وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} قدّم رزق الآباء على الأبناء، لأن الآباء هنا فى فقر واقع بهم، وفى ضيق استولى عليهم، فقتل فيهم مشاعر الإنسانية، حتى طوعت لهم أنفسهم قتل أولادهم، شفقة عليهم، وإراحة لهم من آلام الجوع، وقسوة المسغبة، فجاء قوله تعالى: {نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} ليشعر الآباء بأن الله متكفل برزقهم، ورزق أبنائهم معًا، وأن هذا الضيق الذي هم فيه سوف يعقبه فرج، وأن هذا الرزق الضيّق الذي هم فيه فعلًا، هو قسمة بينهم وبين أبنائهم، فهم فيه سواء، وأنه ليس للآباء أن يقتلوا أولادهم، وهم شركاؤهم فى هذا الرزق المحدود الذي فى أيديهم.

وقد جاء قوله تعالى فى سورة الإسراء: {وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ} بتقديم رزق الأبناء على الآباء، لأن الآباء فى تلك الحال ليسوا فى حال ضيق، وفقر، وإنما هم على شعور الخوف من الفقر مستقبلًا، فهم يقتلون أولادهم فى تلك الحال لا لفقر وقع، وإنما لخشية الفقر المتوقّع، الذي قد يكون وجود الأبناء سببًا فى التعجيل به، فجاء قوله تعالى: {نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ} ليدفع هذا الشعور، وليقيم مكانه شعورًا مضادًا له، وهو أن الأبناء لهم رزقهم عند الله، وأن هذا الرزق مقدم على رزق الآباء، وأن قتلهم حينئذ يكون عدوانًا عليهم، وحبسًا لهذا الرزق الذى سيرزقهم الله إياه"[(٢)].

والله تعالى أعلم

(١) انظر: مفاتيح الغيب ١٣/ ١٧٨.

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب: ٤/ ٣٤٥، دار الفكر العربي – القاهرة.

المبحث الخامس:

الفرق بين (إن الإنسان لظلوم كفار)، (إن الله لغفور رحيم)

اختلاف الفواصل مع اتحاد المعنى

قال الله تعالى في سورة إبراهيم: { **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**} إبراهيم/ ٣٤.

وقال في سورة النحل: {**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**} النحل/ ١٨.

والمتأمل للآيتين يجد أن الأولى اختتمت بقوله: { **إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**}، والثانية بقوله: { إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}، ومعطى النعم، ورازقها هو الله تعالى، والعبد هو الآخذ لهذه النعم، وعائدة عليه.

والقرآن الكريم راعى، وبيّن موقف العبد من هذه النعم في الأعم الأغلب بأنه (ظلوم كفار)، وفي مقابل هذا الموقف من العبد، يقابل الله تعالى هذا الجحود بأنه (غفور رحيم).

وبمقدار كثرة نعم الله تعالى على عباده يكثر جُحد الجاحدين بها، إذ أعرضوا عن عبادة الله تعالى المنعم، وعبدوا ما لا يضر، ولا ينفع، ولا يغني عنهم من الله شيئًا، أما المؤمنون المقرون المعترفون بنعم الله عليهم فلا يكفرون بها، ولا يجحدونها، ويفردونه بالعبادة.

والذى يتدبر الآيتين، يلاحظ: أن السابق لآية سورة إبراهيم، هو الحديث عن صلة العبد بالله تعالى، والسابق لآية سورة النحل، هو الحديث عن صفات الله تعالى، وآلائه على عبده، فتناسب ختام كل آية بذكر صفاتها التي وردت قبلها، فتباينت الفاصلتين – ختام الآيتين – مع أن المتحدث عنه واحد،وهذا من إعجاز، وبديع القرآن الكريم، أنه ينوع في

الموضوع الواحد، لمراعاة حال، ووصف كل من الاتجاهين، أو الطرفين، فوضع وقابل ظلم العبد بالمغفرة، وقابل كفره بالرحمة.

وقد تعددت، وتباينت أقوال المفسرين في بيان وجه الحكمة من اختلاف الفاصلتين هنا، وجاء كلامهم عنها على النسق التالي: **الأول:** "أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: {**إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**}، وَقَالَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: {إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}، وَلَمَّا تَأَمَّلْتُ فِيهِ لَاحَتْ لِي فِيهِ دَقِيقَةٌ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِذَا حَصَلَتِ النِّعَمُ الْكَثِيرَةُ، فَأَنْتَ الَّذِي أَخَذْتَهَا، وَأَنَا الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، فَحَصَلَ لَكَ عِنْدَ أَخْذِهَا وَصْفَانِ: وَهُمَا كَوْنُكَ ظَلُومًا كَفَّارًا، وَلِي وَصْفَانِ عِنْدَ إِعْطَائِهَا وَهُمَا كَوْنِي غَفُورًا رَحِيمًا، وَالْمَقْصُودُ كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنْ كُنْتَ ظَلُومًا فَأَنَا غَفُورٌ، وَإِنْ كُنْتَ كَفَّارًا فَأَنَا رَحِيمٌ أَعْلَمُ عَجْزَكَ، وَقُصُورَكَ، فَلَا أُقَابِلُ تَقْصِيرَكَ إلا بالتوفير، ولا أجازي جفاء إِلَّا بِالْوَفَاءِ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ، وَالرَّحْمَةَ"(١).

الثاني: "وقيل: إنما ختم سبحانه آية النحل بما ختم للإطناب هناك في ذكر النعم مع تقدم الدعوة إلى الشكر صريحًا، فكان ذلك مظنة التقصير فيه، ويناسب الإطناب في سرد النعم أن يذكر منها ما يتعلق بذلك، وهو الغفران والرحمة، فتأمل، والله تعالى أعلم بأسرار كتابه"(٢).

الثالث: " قوله تعالى: {**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**} إبراهيم/ ٢٨، وفي سورة النحل: {**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**}،

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب ١٩/ ١٠٠، البرهان في علوم القرآن ١/ ٨٦، تفسير السراج المنير، لمحمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، ٢/ ١٤٤، دار النشر/ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ٧/ ٢١٦، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

فأعقب في الأولى قوله تعالى: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا) بغير ما أعقب في الثانية، يسأل عن ذلك؟

والجواب عنه، والله أعلم: أن آية إبراهيم تقدمها قوله تعالى: {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**}، ثم قوله: {**وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ**} إبراهيم/ ٣٠، ثم ذكر إنعامه على عباده في قوله: {**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ**} إبراهيم/ ٣٢، إلى قوله: {وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ} إبراهيم/ ٣٤، فناسب ما ذكره تعالى من توالي إنعامه، وإحسانه، ومقابلة ذلك من العبيد بالتبديل، وجعل الأنداد وصف الإنسان بأنه ظلوم كفار.

أما آية النحل فلم يتقدمها غير ما نبه سبحانه، وعباده المؤمنين من متوالي آلائه، وإحسانه، وما ابتدأهم به من نعمة من لدن قوله: {**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ**} النحل/ ٤، ثم توالت أيات الامتنان، والإحسان، فقال تعالى: {**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ**} النحل/ ٥، فذكر تعالى بعضًا وعشرين من أمهات النعم إلى قوله منبهًا وموقظًا من الغفلة، والنسيان: {**أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**} النحل/ ١٧، ثم أتبع بقوله سبحانه: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا}، فناسب ختام هذا قوله: (**إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**)، فجاء كل على ما يناسبه، والله أعلم"[1].

(١) انظر: ملاك التأويل ٢/ ٢٨٨، وروح المعاني ٧/ ٢١٦، البحر المحيط، لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي ٥/ ٤١٧، تحقيق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ/ علي محمد معوض، د/ زكريا عبد المجيد النوقي، د/ أحمد النجولي الجمل، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، الطبعة: الأولى، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ١٤/ ٤١٥، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

الرابع: "لَكِنْ بَقِيَ سُؤَالٌ آخَرُ، وَهُوَ مَا الْحِكْمَةُ فِي تخصيص آية النحل بوصف المنعم، وَآيَةِ إِبْرَاهِيمَ بِوَصْفِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ؟ وَالْجَوَابُ: أَنَّ سِيَاقَ الْآيَةِ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ فِي وَصْفِ الْإِنْسَانِ، وَمَا جُبِلَ عَلَيْهِ، فَنَاسَبَ ذِكْرُ ذَلِكَ عُقَيْبَ أَوْصَافِهِ.

وَأَمَّا آيَةُ النَّحْلِ فَسِيقَتْ فِي وَصْفِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِثْبَاتِ أُلُوهِيَّتِهِ، وَتَحْقِيقِ صِفَاتِهِ، فَنَاسَبَ ذِكْرَ وَصْفِهِ سُبْحَانَهُ، فَتَأَمَّلْ هَذِهِ التَّرَاكِيبَ مَا أَرْقَاهَا فِي دَرَجَةِ الْبَلَاغَةِ"(١).

الخامس: " قول عبد الرَّحْمَن بن زيد بن أسلم قَالَ عن سورة (إبراهيم) فِيهَا آيَة مَنْسُوخَة، وَهِي قَوْله تَعَالَى: {**وَإِن تَعُدّوا نِعمَةَ اللهِ لَا تُحصوها**} هَذَا مُحكم، والمنسوخ قَوْله: {**إِنَّ الإِنسانَ لَظلومٌ كَفّارٌ**} نسخت بقوله {وَإِن تُعدّوا نِعمَةَ اللهِ لَا تُحصوها إِن اللهَ لَغَفُور رَحِيم} فِي سُورَة النَّحْل".

• وهو قول ضعيف، فالسورة كلها محكمة، وليس فيها نسخ، وهو ما ذهب إليه كثير من العلماء، فقالوا:" هي عند جميع المفسرين محكمة، والجمهور على خلاف قول عبد الرَّحْمَن بن زيد بن أسلم، فدعوى أن هذه الآية منسوخة بآية النحل لا يلتفت إليها"(٢).

والله تعالى أعلم

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٨٧، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، للدكتور/ عدنان زرزور، ص ٢٠١،٢٠٠.

(٢) انظر: البحر المحيط ٥/ ٤١٧، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريمالمؤلف: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي، القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ص ٤٢، المحقق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، الناسخ والمنسوخ، لأبي القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري (المتوفى: ٤١٠هـ)، ص ١١٠، المحقق: زهير الشاويش ، محمد كنعان، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.

المبحث السادس:

الفرق بين (شيئاً إمرًا، شيئاً نكرًا)

قص الله تعالى علينا قصة سيدنا موسى مع الخضر- عليهما السلام- من خلال سورة الكهف، وأنهما تعايشا مع بعضهما من خلال بعض المواقف، أو الأحداث، التى أثارت غضب، واعتراض سيدنا موسى – عليه السلام-.

وكان الموقف الأول: أن الخضر عليه السلام قام بخرق السفينة، مما أثار هذا الموقف حفيظة سيدنا موسى – عليه السلام- وواجهه بقوله: {**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً**} الكهف/ ٧١، لأن ما فعله الخضر لا يصدر من عاقل، ناهيك عن أن مثل هذه الأفعال لا يتصف بها أهل الصلاح والتقوى، لأن فيه عدواناً على الأبرياء.

وكان الموقف الثانى: أن الخضر عليه السلام قام بقتل الغلام الصغير الذى لا جناية له، وهو فعل يستنكره العقل،، مما جعله يقول له: {**لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً**} الكهف/ ٧٤، وهو حدث لا عذر لمرتكبه، ولا مبرّر له!

• فمن الملاحظ: أن سيدنا موسى -عليه السلام- وصف خرق السفينة بقوله: (إمرًا)، ووصف قتل الغلام بقوله: (نكرًا) والسبب في ذلك:

أن (الإمر) غير (النكر) فخرق السفينة لم يكن فيه غرق لأحد، ولا قتل لأحد، حتى تبقى لأهلها، ومالكيها، ولذلك تعجب سيدنا موسى -عليه السلام- واستعمل لفظ (الإمر).

بخلاف قتل الغلام الذى فيه تعدى على النفس البشرية بدون وجه حق، لذلك كان اللوم، والاستغراب أشد، ورد الفعل أقوى من سيدنا موسى -عليه السلام- فاستعمل لفظ (النكر). وقد روى عن قتادة قوله: النُكر أشدّ من الإمر.

فالقرآن الكريم أتى مع كل موقف وحدث بما يناسبه، ويخصه، بحيث لو وضع أحد الوصفين موضع الآخر لم يسد مسده، مما يدل على مدى إعجاز القرآن الكريم.

= وعن الفرق بين اللفظين، وما ورد فيهما من لطائف، وأسرار قال صاحب (ملاك التأويل) رحمه الله:" قوله تعالىٰ مخبراً عن قول موسىٰ للخضر، عليهما السلام، حين خرق السفينة: {**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا**} الكهف/ ٧١، وقوله له عند قتل الغلام: {**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا**} الكهف/ ٧٤، للسائل أن يسأل عن الفرق بين الموضعين الموجب لوصف كل من هذين الفعلين بما وصف به؟ والجواب، والله أعلم: أن خرق السفينة لم يبلغ بحيث يتلفها، وإنما قصد به الخضر عيبها ليزهد فيها مريد غصبها بدليل قوله بعد: {**فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**} الكهف/ ٧٩، فإنما أراد إبقاءها علىٰ مالكها، ودفع هذا الغاصب إذا رأىٰ ما بها من العيب المانع من الرغبة فيها، وهذا لا يبلغ ظاهره مبلغ ظاهر قتل الغلام بغير سبب ظاهر فوصف بإمر في قوله: (شَيْئًا إِمْرًا)، وهو دون النكر. وأما البادي الظاهر من قتل الغلام عند من يغيب عنه ما علمه من الخضر فشيء نكر، ومرتكب عند من لحظه بظاهره، وغاب عنه ما في طيه شنيع، ووزر، فوقع التعبير في الموضعين بما يناسب كلا الفعلين"[1].

كما فرّق الإمام الرازىٰ – رحمه الله- بينهما بقوله: "النُّكْرُ: أَعْظَمُ مِنَ الْإِمْرِ فِي الْقُبْحِ، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ قَتْلَ الْغُلَامِ أَقْبَحُ مِنْ خَرْقِ السَّفِينَةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ مَا كَانَ إِتْلَافًا لِلنَّفْسِ لِأَنَّهُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ لا يحصل الغرق، أما هاهنا حَصَلَ الْإِتْلَافُ قَطْعًا فَكَانَ أَنْكَرَ. وَقِيلَ إِنَّ قَوْلَهُ: {**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً**} أَيْ: عَجَبًا، وَالنُّكْرُ أَعْظَمُ مِنَ الْعَجَبِ. وَقِيلَ النُّكْرُ: مَا أَنْكَرَتْهُ الْعُقُولُ، وَنَفَرَتْ عَنْهُ النُّفُوسُ فَهُوَ أَبْلَغُ فِي تَقْبِيحِ الشَّيْءِ مِنَ الْإِمْرِ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: الْإِمْرُ أَعْظَمُ، قَالَ: لِأَنَّ خَرْقَ السَّفِينَةِ يؤدي إلىٰ إتلاف نفوس كثيرة، وهذا الْقَتْلُ لَيْسَ إِلَّا إِتْلَافَ

(١) انظر: ملاك التأويل ٢/ ٣٢٢.

شَخْصٍ، وَأَيْضًا الْإِمْرُ: هُوَ الدَّاهِيَةُ الْعَظِيمَةُ، فَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ النُّكْرِ"[1].

ويزيد الأمر وضوحًا صاحب (درة التنزيل) فيقول رحمه الله: " قوله تعالى في الحكاية عن موسى -عليه السلام- لمّا خرق الخضر عليه السلام السفينة: {لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا}، ولما قتل الغلام: {لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا}. للسائل أن يسأل عن "الإمر" و "النُّكر" وهل كان أحدهما يصلح في موضع الآخر، أم لكل واحد معنى يخصصه بمكانه؟. والجواب أن يقال: قيل: (الإمر) إنه الداهية، وقيل: إنه العجب. والنُّكر: ما تنكره العقول، ولا تعرفه، ولا تجوّزه.

ويروى عن قتادة أنه قال: النّكر أعظم من الإمر، لأن الإمر إن حُمل على الداهية فهي التي تذهل الإنسان ممّا لم يخشه فيحترز من وقوعه، والعجب قد يكون غير منكر، والنّكر لا يستعمل إلا في المذموم الذي يخرج عن المعروف في العقل أو الدين، فاختص الأول بالإمر، لأن خرق السفينة التي لم يغرق فيها أحد أهون من قتل الغلام الذي قد هلك. وقيل: "الإمر" أعظم من النكر، لأن تغريق مَن في السفينة أنكر من قتل نفس واحدة، وليس كذلك لأن الغرق لم يقع، والقتل قد حصل"[2]. كما ذهب إلى ذلك الإمام أبى السعود، والنسفى، والقاسمى رحمهم الله[3]. **والله تعالى أعلم**

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب ٢١/ ٤٨٧.

(٢) انظر: درة التنزيل ١/ ٨٧٨

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لمحمد بن محمد العمادي، أبو السعود ٥/ ٢٣٦، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تفسير النسفى، لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي٣/ ٢٥، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النشر: دار النفائس، بيروت ٢٠٠٥، محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ) ت: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه– بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤١٨هـ.

المبحث السابع:

الفرق بين (ألم أقل...) و (ألم أقل لك...)

استدراكًا لما سبق من الحديث عن قصة سيدنا موسى مع الخضر-عليهما السلام- وما حدث بينهما من مواقف، وأن الخضر-عليه السلام- أخذ العهد على سيدنا موسى -عليه السلام- ألا يسأله عما يفعل، واشترط عليه ذلك، ولكن من خلال الموقف الأول وهو خرق السفينة لم يتحمل سيدنا موسى -عليه السلام- ما رآه، واعترض على الخضر بقوله: {**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا**} فرد عليه الخضر بقوله: {**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**} الكهف/ ٧٢، فاعتذر موسى على ذلك بنسيانه ما تعاهد عليه.

ومن خلال الموقف الثاني عندما قام الخضر بقتل الغلام، ورأى موسى بأن هذا موقفًا ينكره العقل، فقال له: {**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا**} فكان جواب الخضر عليه: {**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**} الكهف/ ٧٥.

• فمن الملاحظ: أن جواب الخضر-عليه السلام- في الموقف الأول (ألم أقل إنك...) وفي الثاني: (ألم أقل لك إنك...) والفرق بينهما: أن الخضر لاَمَ، وعاب على موسى اعتراضه، وسؤاله عن سبب خرق السفينة في حين أن الخضر أخذ العهد عليه بعدم السؤال، وفي الثانية أتى بلفظ (لك) التي تدل على شدة اللوم، والتأكيد علي هذا اللوم، فالخطاب في الثانية أشد من الأولى، ولا يجد سيدنا موسى -عليه السلام- أمام هذا اللفظ (لك) الذي يدل على البعد، إلا أن يعتذر،و يحسم هذا الموقف بقوله: {**إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا**} الكهف/ ٧٦.

وما ذكرته في هذا الصدد ذهب إليه كثير من العلماء، أذكر منهم على سبيل المثال:

= الإمام ابن عطية – رحمه الله – حيث قال: " وقوله {ألم أقل لك} زجر، وإغلاظ ليس في قوله أولًا {**ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا**} "[1].

= وقال الإمام الرازي – رحمه الله –: " زَادَ هاهنا لَفْظَةَ (لَكَ) لِأَنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ تُؤَكِّدُ التَّوْبِيخَ، فَعِنْدَ هَذَا قَالَ مُوسَى: {**إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي**} مَعَ الْعِلْمِ بِشِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى مُصَاحَبَتِهِ، وَهَذَا كَلَامُ نَادِمٍ شَدِيدِ النَّدَامَةِ"[2].

= كما أدلى الإمام النيسابوري – رحمه الله بدلوه في بيان الفرق بين اللآيتين، فقال:" وإنما زاد هاهنا (لك) لأن الإنكار أكثر، وموجب العتاب أقوى. وقيل: أكد التقرير الثاني بقوله (لَكَ) كما تقول لمن توبخه: لك أقول، وإياك أعني.

وقيل: بين في الثاني المقول له لما لم يبين في الأول، فعند هذا قال موسى {إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها} بعد هذه الكرة، أو المسألة {**فَلا تُصاحِبْنِي**} نهاه عن المصاحبة حينئذ مع حرصه على التعلم لظهور عذره، كما قال: {**قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً**} وهذا كلام نادم شديد الندامة جره المقال، واضطره الحال إلى الاعتراف، وسلوك سبيل الإنصاف"[3].

والله تعالى أعلم

---

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) ٣/ ٥٣٢، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب ٢١/ ٤٨٧.

(٣) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) ٤/ ٤٥٠، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

المبحث الثامن

الفرق بين (تستطع) و (تسطع)

ما زال الحديث موصولًا عما دار بين موسى والخضر– عليهما السلام – فبعد حدوث المواقف الثلاثة بينهما من خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار، واعتراض موسى – عليه السلام – على ما فعله الخضر، أخبره الخضر بأنه سيبين له مالم يستطع عليه صبرا، فقال تعالى: { **قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً**} الكهف/ ٧٨، وبعد بيان، وتأويل الخضر لموسى – عليه السلام – عما دار بينهما من أحداث قال له الخضر: { **وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً**} الكهف/ ٨٢.

• فمن الملاحظ: أن الخضر قال في الأولى: { **مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً**}، وفي الثانية قال: { **ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً**} فما الفرق بين (تستطع، وتسطع)؟ أقول:

إن القرآن الكريم قد اهتم ببيان حالة سيدنا موسى – عليه السلام – النفسية التي تعرض لها. فقبل أن يعرف حقيقة الأمر، وتأويل تلك الأحداث التي وقعت من الخضر– عليه السلام- وكان الحدث شديدًا، وثقيلًا عليه، وذلك بسبب الدهشة، والغرابة التي وقع فيها، ناسب المجئ بالتاء في قوله: (تستطع) حتى يتلائم بناء الفعل المكون من خمسة أحرف مع شدة الهم، والحيرة التي وقع فيها موسى – عليه السلام – وهذا الثقل في الفعل (تستطع) يتناسب مع ثقل عدم المعرفة التي كان يعانى منها موسى – عليه السلام -.

ولما علم موسى – عليه السلام – حقيقة الأمور، وبيانها، وزال عنه الجهل، أتى القرآن بلفظ (تسطع) المحذوف منه حرف التاء، حتى صار الفعل مخففًا، وهو ما يتلائم مع الحالة النفسية لسيدنا موسى – عليه السلام – لما زالت عنه الغرابة، والحيرة التي كانت موجودة في بادئ الأمر.

= وهذا ما نطقت به عبارات المفسرين حيث قالوا: " وَلَمَّا أَنْ فَسَّرَهُ لـه، وبيّنـه، ووضّـحه، وأزال المشكل، قال (تَسْطِعْ) وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَ الْإِشْكَالُ قَوِيًّا ثَقِيلًا، فَقَالَ {**سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً**} فَقَابَلَ الْأَثْقَلَ بِالْأَثْقَلِ، وَالْأَخَفَّ بِالْأَخَفِّ"(١).

والله تعالى أعلم

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ٥/ ١٦٩، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ، تفسير القاسمي ٧/ ٥٦، الأساس في التفسير، لسعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ) ٦/ ٣٢١٤، الناشر: دار السلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ.

المبحث التاسع:

الفرق بين (الحيّة، والثعبان، والجان)

من صور الإعجاز البياني في القرآن الكريم: أنه غاير بين لفظي (الحيّة، والثعبان، والجان) فالقرآن الكريم أحيانًا كان يصف عصا سيدنا موسى – عليه السلام – بأنها:(حية)، وأخرى يصفها بأنها: (ثعبان)، وأحيانًا يسميها: (جان) فما الفرق بينهم: أقول:

إن (الحية) تكون في بداية أمرها صغيرة، وأما (الجان) فهو أيضًا: الصغير من الحيات، فالحية، والجان بمعنى واحد، وأما (الثعبان) حينما تصير الحية كبيرة متزايدة، وتصير في خفة حركتها كالجان، والقرآن الكريم يخبر عن الشئ أحيانًا بأحوال مختلفة.

فلا تعارض بين الأوصاف الثلاثة، فقوله تعالى: { فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ} الأعراف/ ١٠٧، بيّن شكل العصا، وخِلقتها، وهيئتها، وقوله تعالى: { **وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ**} النمل/ ١٠، بيّن حال اهتزازها، وحركتها، ولا يوجد اختلاف بين الوصفين، لأنه أراد بالجان: أمر العصا في أولها، وأراد بالثعبان: نهايتها، ومآلها، فهذه الأوصاف الثلاثة للعصا يتضح منها: حديث القرآن عن أطوار خلق العصا في تقلبها، فكل وصف أضاف لنا معنىً جديدًا، ومقصدًا، وهدفًا يقتضيه السياق القرآني، وقِسْ على هذا كثير من آيات قصص القرآن الكريم، وهذا من الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

ومن إعجاز القرآن الكريم:

أنه راعى الحالة النفسية لسيدنا موسى – عليه السلام – مع فرعون، وما حدث بينهما من مواقف، وأحداث.

فعندما جاء الأمر من الله تعالى لسيدنا موسى – عليه السلام – بأن يلقى عصاه، أثناء وجوده بالوادى المقدس طوى، انقلبت، وتحولت العصا إلى حيّة صغيرة الحجم، وهذا الموقف يتناسب مع حالة سيدنا موسى – عليه السلام – آنذاك حتى لا يخاف منها، والمطلوب في هذا الوقت أن يشاهد معجزة تطمئنه لا يخاف منها، ومن هنا انقلبت العصا إلى حية صغيرة.

أما عندما واجه سيدنا موسى – عليه السلام – فرعون، وأمام جمع غفير من الناس تطلب الموقف حدوث خوف عند فرعون، وأتباعه، لعلهم يؤمنوا، ويتأكدوا من صدق نبوة سيدنا موسى – عليه السلام –، ولأجل هذا انقلبت العصا، وتحولت إلى ثعبان كبير ضخم، تخويفًا لفرعون، وأتباعه، وتثبيتًا لسيدنا موسى – عليه السلام –.

ومن هنا يتبين صدق، وإعجاز القرآن الكريم في اختيار كلماته، وأن كل كلمة قرآنية توضع في مكانها المناسب لها، بحيث لو بُدّلت بأخرى لاختل المعنى، وصدق الله تعالى حين قال: { **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ٤١ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**} فصلت/ ٤١، ٤٢.

= وما سقْناه سابقًا نطقت به عبارات كثير من المفسرين، نذكر منهم على سبيل المثال الإمام الزمخشرى – رحمه الله – فقال:

" فإن قلت: كيف ذكرت – العصا – بألفاظ مختلفة: بالحية، والجان، والثعبان؟ قلت: أمّا الحية فاسم جنس يقع على الذكر، والأنثى، والصغير، والكبير.

وأمّا الثعبان، والجان فبينهما تناف، لأنّ الثعبان العظيم من الحيات، والجان الدقيق، وفي ذلك وجهان:

أحدهما: أنها كانت وقت انقلابها حيه تنقلب حية صفراء دقيقة، ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانًا، فأريد با لجان: أوّل حالها، وبالثعبان مآلها.

الثاني: أنها كانت في شخص الثعبان، وسرعة حركة الجان، والدليل عليه قوله تعالى: {**فلما رآها تهتزّ كأنها جانّ**} النمل/ ١٠"[١].

= وقريب منه قال الإمام ابن الجوزى – رحمه الله –[٢].

= كما أدلى الإمام الرازى بدلوه في بيان الفرق بين هذه الألفاظ الثلاثة، فقال رحمه الله:

" فإن قيل كيف قال هاهنا: {**ثُعْبَانٌ مُبِينٌ**} وَفِي آيَةٍ أُخْرَى: {**فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى**} طه/ ٢٠، وَفِي آيَةٍ ثَالِثَةٍ: {**كَأَنَّها جَانٌّ**} القصص/ ٣١، وَالْجَانُّ مَائِلٌ إِلَى الصِّغَرِ وَالثُّعْبَانُ مَائِلٌ إِلَى الْكِبَرِ؟

جَوَابُهُ: أَمَّا الْحَيَّةُ فَهِيَ اسْمُ الْجِنْسِ، ثُمَّ إِنَّهَا لِكِبَرِهَا صَارَتْ ثُعْبَانًا، وَشَبَّهَهَا بِالْجَانِّ: لِخِفَّتِهَا، وَسُرْعَتِهَا، فَصَحَّ الْكَلَامَانِ.

وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ شَبَّهَهَا بِالشَّيْطَانِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {**وَالْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ**} الْحِجْرِ/ ٢٧.

وَيُحْتَمَلُ أَنَّهَا كَانَتْ أَوَّلًا صَغِيرَةً كَالْجَانِّ، ثُمَّ عَظُمَتْ، فَصَارَتْ ثُعْبَانًا"[٣].

والله تعالى أعلم

(١) انظر: الكشاف ٣/ ٥٨.

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ٣/ ١٥٦، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب ٢٤/ ٥٠١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتنقضي المطالب والحاجات، وتتنزل الرحمات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة إلى العالمين سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،

فإن لكل بدء خاتمة، ولكل شيء نهاية، وبعد وقت طيب مبارك، ورحلة غامرة بالسعادة عشناها مع هذا البحث، كان لنا دوحة نلجأ إلى ثمارها، ونعيش في ظلها الرحب، صحبنا من خلالها بعض صور الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ودراستها دراسة تحليلية، وموقفنا منها، مبيّنين أقوال العلماء فيها.

وقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى بعض النتائج المهمة، المتمثلة فيما يلي:

- مهما تنوعت وتعددت الدراسات القرآنية، إلا أننا في حاجة ماسة إلى المزيد من تلك الدراسات التي توضح، وتكشف لنا حينًا بعد آخر قمة، وروعة إعجاز القرآن الكريم، وبيان سرًا من أسراره.
- كل دراسة قرآنية تناولها العلماء هي قابلة للدراسة والبحث مرة أخرى، من وجوه كثيرة.
- أن العلماء لم ولن يبلغوا مبلغ الشمول والإحاطة ببعض وجوه إعجازه.
- لا يمكن بحال من الأحوال حصر، وعدّ وجوه إعجاز هذا الكتاب المعجز.

- تعددت وجوه إعجاز القرآن الكريم منها ما هو مقبول قولًا واحدًا، ومنها ما هو مختلف فيه كالإعجاز العددى، ومنها ما هو مرفوض قولًا واحدًا كالقول بالصّرَفة.

وختاما: نحمد الله – تعالى – أن وفقنا، وأعاننا على إتمام هذا البحث، فإليه يرجع الأمر كله، كما نسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في موازين حسناتنا، وأساتذتنا، ومشايخنا، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلّ اللهم وسلم وبارك على خير البرية، ورسول الإنسانية سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه الأخيار، وسلم تسليمًا كثيرًا.

إعداد الباحثين

د. عاطف محمد محمود الخولي

د. محمود متولي حسين الميهي

الأستاذين المساعدين بجامعة الجوف

كلية العلوم والآداب بطبرجل – السعودية

ثبت المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- **الإتقان في علوم القرآن**، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩هـ/ ١٩٧٤م.

٣- **الأساس في التفسير**، لسعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩هـ)، الناشر: دار السلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤هـ.

٤- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، لمحمد بن محمد العمادي، أبو السعود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥- **الإعجاز البياني للقرآن الكريم، أركانه، ومظاهره**، للدكتور/ حسين مطاوع الترتوري، بتصرف، مجلة البحوث الإسلامية، ١٩٨٨.

٦- **الإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق**، لعائشة محمد علي عبد الرحمن، المعروفة ببنت الشاطئ، ط: دار المعارف، الطبعة: الثالثة.

٧- **إعجاز القرآن البياني ودلائل إعجازه**، للدكتور/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٨- **إعجاز القرآن الكريم**، للدكتور/ فضل حسن عباس.

٩- **إعجاز القرآن للباقلاني**، لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب، تحقيق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.

١٠- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة – ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م

١١- **الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم**، جمع وإعداد الباحث في القرآن

والسنة/ علي بن نايف الشحود.

١٢- **الإمام البقاعي، ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن**، للدكتور/ محمود توفيق محمد سعد.

١٣- **البحر المحيط**، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ/ علي محمد معوض، وآخرون، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى.

١٤- **البرهان في علوم القرآن**، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

١٥- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

١٦- **بيان إعجاز القرآن**، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، المعروف بالخطابي، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م.

١٧- **البيان والتبيين**، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣هـ.

١٨- **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

١٩- **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، تقديم

وتحقيق: الدكتور/ حفني محمد شرف، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٢٠- **التحرير والتنوير،** للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م.

٢١- **التعريفات،** لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٢- **تفسير السراج المنير،** لمحمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، دار النشر/ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٣- **تفسير الشعراوي – الخواطر،** لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

٢٤- **تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ.

٢٥- **التفسير القرآني للقرآن،** لعبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

٢٦- **التفسير المظهري،** لمحمد ثناء الله المظهري، المحقق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية – الباكستان، الطبعة: ١٤١٢هـ.

٢٧- **تفسير النسفي،** لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار، دار النشر: دار النفائس ـ بيروت ٢٠٠٥.

٢٨- **التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث،** للأستاذ الدكتور فضل حسن عبَّاس، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م.

٢٩- **جامع البيان في تأويل القرآن،** لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣٠- **الجامع الصحيح المختصر،** لمحمد بن إسماعيل، أبو عبدالله، البخاري، الجعفي، ت: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

٣١- **الجامع الصحيح، المسمى صحيح مسلم،** للأمام مسلم القشيري، النيسابوري، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ـ بيروت.

٣٢- **الجامع لأحكام القرآن** = تفسير القرطبي، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

٣٣- **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن،** لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٣٤- **دُرَّةُ التَّنْزِيلِ وَغُرَّةُ التَّأْوِيلِ،** لأبى عبد الله محمد بن عبد الله، الأصبهاني، المعروف بالخطيب الإسكافي المتوفي سنة ٤٢٠ هـ، دراسة، وتحقيق، وتعليق/ محمد مصطفى آيدين، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١.

٣٥- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،** لأبى العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

٣٦- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٧- **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٨- **زاد المسير في علم التفسير**، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

٣٩- **زهرة التفاسير**، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.

٤٠- **سيرة ابن إسحاق** (كتاب السير والمغازي) لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٤١- **السيرة النبوية لابن هشام**، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.

٤٢- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، للقاضي عياض، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (ت: ٨٧٣هـ)، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عام: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

٤٣- **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث :.....	٤٣
المقدمة :.....	٤٥
الفصل الأول: التعريف بالإعجاز البياني	٥٠-٧٤
المطلب الأول: نشأة مصطلح الإعجاز	٥٠
المطلب الثانى: تعريف الإعجاز البيانى	٥٦
المطلب الثالث: نشأة الإعجاز البيانى	٦٠
المطلب الرابع: أهمية الإعجاز البيانى	٦٤
المطلب الخامس: أركان الإعجاز البيانى	٦٧
المطلب السادس: ألوان، ومظاهر الإعجاز البيانى	٦٩
المطلب السابع: جوانب الإعجاز البيانى	٧٤
الفصل الثاني: نماذج من الإعجاز البياني	٧٥-١٠٧
المبحث الأول: الفرق بين العام، والسنة، والحول، والحِجّة	٧٥
المبحث الثانى: الفرق بين الزوجة، والمرأة، والصاحبة	٨٣
المبحث الثالث: الفرق بين (سنابل، وسنبلات)	٨٨
المبحث الرابع: الفرق بين (نرزقكم وإياهم) و (نرزقهم وإياكم)	٩١
المبحث الخامس: الفرق بين (إن الإنسان لظلوم كفار)، (إن الله لغفور رحيم)	٩٥
المبحث السادس: الفرق بين (شيئاً إمرًا، شيئاً نكرًا)	٩٩
المبحث السابع: الفرق بين (ألم أقل...) و (ألم أقل لك...)	١٠٢
المبحث الثامن: الفرق بين (تستطع) و (تسطع)	١٠٤
المبحث التاسع: الفرق بين (الحيّة، والثعبان، والجان)	١٠٦
الخاتمة :.....	١٠٩
فهرس المصادر والمراجع :.....	١١١
فهرس الموضوعات :.....	١١٦